سلسلة الدراسات التوثيقية 17

الدور الوطني للإذاعة المصرية في حرب اكتوبر 1973م

محمود عبد الرحمن عريف

الطبعة الأولى 2022م

الدور الوطني للإذاعة المصرية في حرب اكتوبر ١٩٧٣م

القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

17 سلسلة الدراسات التوثيقية

الدور الوطني للإذاعة المصرية في حرب أكتوبر 1973م

محمد عبدالرحمن عريف

الطبعة الأولى 2022

إشراف
أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شبّا

الكتاب :الدور الوطني للإذاعة المصرية في حرب أكتوبر 1973
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود

حقوق النشر محفوظة للدار

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية
أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الكاتب.

إن دار إريثيريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن أراء المؤلفين وأفكارهم، وتعبر الآراء والأفكار
الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution
جوال :- 00249910785855 00249121566207
arithriaforpublishing@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾

(البقرة: 154)

محتويات الكتاب

عـن تطور البـث الإذاعـي المـصري.. وقصـة نجـاح 12

رواد الإذاعـة المصريـة رمـوز العطـاء والتميـز.. تسـجيلات نـادرة صنعـت تاريـخ 20

دور "الإذاعـات الموجهـة" في حـرب أكتوبـر 27

قالـوا عـن الإعـلام المـصري في معركـة الكرامـة 35

كواليـس بيـان حـرب أكتوبـر: "هنـا القاهـرة.. جاءنـا البيـان التـالي" 45

مراسـلون عسـكريون لعبـوا دورًا بـارزًا خـلال حـرب أكتوبـر 56

الـدور الوطنـي الإذاعـي في الفيلـم الوثائقـي «صـوت العـرب» 60

كيـف حـضر نـصر أكتوبـر 1973.. في أروقـة الشـعر والشـعراء؟ 75

نـصر أكتوبـر 1973 في أروقـة الكتـب.. والكتـاب 84

إهداء

لا تقولـوا لمـن يقتـل في سـبيل اللـه: هـو ميـت, فـإن الميـت مِـن خَلقِـه مَـنْ سـلبهُ حياتَـه وأعدمـه حواسَّـه.. وهـذا إهـداء لمـن قُتـل منهـم في سـبيل اللـه، أحيـاءٌ عنـده، في حيـاة ونعيـم، وعيـش هَنِـيّ، ورزق سـنيّ, فَرحـين بمـا آتاهـم مـن فضلـه، وَحباهـم بـه مـن كرمـه.. إلى روح الشـهيد الأبي الرائـد/ محمـود منـير يونـس.. وشـهيد الواجـب الوطنـي جنـدي/ عبدالرحمـن سـليمان عريـف.. إليهـم جميعًـا هـؤلاء الأبطـال هـذا العمـل المتواضـع.

شكر وتقدير وعرفان

يتقدم الكاتب بالشكر والتقدير والعرفان لدار آريثيريا للنشر والتوزيع ومركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر ممثلاً في رئيسه بروفيسور/ حاتم الصديق.. لتبنيه صدور الكتاب التوثيقي رقم (17) للمركز بعنوان:

(الدور الوطني للإذاعة المصرية في حرب أكتوبر 1973م)

وهو من ضمن سلسة الدراسات التوثيقية التي يصدرها مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان بالشراكة مع دار آريثيريا للنشر والتوزيع.. فلهم جميعًا خالص الشكر والتقدير والعرفان.

فكل الشكر والعرفان لكم أيها الأحبة. رسالة أبعثها بملء الحب والعطف والتقدير والاحترام، يعجز الشعر والنثر والكلام كله عن ذكر شكركم، وتقديركم فلكم كل الثناء، وجزيل الشكر، وصادق العرفان، على كل ما فعلتم وتفعلون.

الكاتب

محمد عبدالرحمن عريف

قناة السويس- مصر

ربيع/ 2022

مقدمة وتمهيد

مما لا شك فيه يعد نصر أكتوبر أعظم إنتصارات الأمة في تاريخها الحديث حيث جسد أصالة شعب مصر وقواته المسلحة وعظمة ولائهم للوطن، فقد أعاد أبناء مصر أمام أعين الجميع تشكيل خريطة القوى في العالم، وأصبح الانتصار نقطة تحول كبرى في التاريخ.

هنا حضر الجيش المصري ضمن أقدم الجيوش النظامية، بدأ أول حروبه من أجل توحيد مصر على يد الملك مينا عام 3200 ق.م، وعلى مدى هذه القرون خاض العديد من الحروب والمعارك الكبرى بدءاً من العصر الفرعوني ومروراً بالعصور البطلمية والرومانية والإسلامية وحتى العصر الحديث، ومع الاحتفال بذكرى النصر أكتوبر المجيد، نتذكر بطولات القوات المسلحة، مصنع الرجال، درع الأمة الواقي، سيف مصر القاطع الذي يبتر يد كل من تسول له نفسه محاولة العبث بأمن واستقرار الوطن، فتاريخ الجيش المصري ووطنيته لا تخفي على أحد، والمعارك التي خاضها من أجل الدفاع عن أمته سُطرت بحروف من نور في كتب التاريخ العسكري على مر العصور.

لقد غيرت حرب أكتوبر الفكر العسكري الحديث، وأصبحت عملية العبور مرجعًا أساسيًا لكل الجيوش العالمية الحديثة، ويصف المؤرخ العسكري البريطاني إدجار ابولانس عملية العبور "بأنها كانت معجزة عسكرية مكتملة الأركان"، ولأن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة كان لزاما توفير سلاح متطور حديث مع تنظيم وتدريب القوات بشكل جيد ومتواصل، وتعبئة الجبهة الداخلية في شتى المجالات، من أجل معركة تحرير الأرض وإزالة آثار العدوان، ففي سبتمبر 1968م، قررت مصر التحول إلى إستراتيجية جديدة والانتقال بالجبهة من مرحلة الصمود إلى مرحلة جديدة من المواجهة العسكرية، أطلق عليها مرحلة "الدفاع النشط" بهدف استنزاف القدرات العسكرية الاسرائيلية. كانت الانطلاقة بالانخراط المباشر في الحرب مع العدو علي مدي ثلاث سنوات ونصف إلي أن اكتمل الاستعداد لخوض معركة الاقتحام المجيدة في السادس من أكتوبر 1973، كانت حرب الاستنزاف، هي حرب المعجزات لأنها استمرت ثلاث سنوات ونصف متواصلة تلقت فيها إسرائيل ضربات موجعة من الجيش المصري، كما كانت حرب الاستنزاف أول صراع مسلح يضطر العدو للاحتفاظ بنسبة تعبئة عالية ولمدة طويلة، وهو ما ترك آثاره السلبية على معنويات الكيان الصهيوني واقتصاد الدولة بدرجة لم يسبق لها مثيل في الحروب السابقة، خصوصا وأن قادة العدو كانوا قد أعلنوا لشعبهم أن جولة 1967م

هـي آخـر الحـروب فـإذا بالاسـتنزاف يتصاعـد ويحطـم مصداقيـة القـادة في نظـر الشـعب.

كانـت حـرب أكتوبـر معركـة أسـلحة مشـتركة، قدمـت مقطوعـة متناغمـة وابتكـرت تكتيـكات غـيرت الكثـير مـن المفاهيـم العسـكرية، حيـث اسـتطاع سـلاح المهندسـين أن يلفت انتبـاه العـالم بمعجـزة العبـور، التـي شـملت فتـح الثغـرات في السـاتر الـترابي بطريقـة شـديدة البسـاطة، وبنـاء الكبـاري، وعبـور الدبابـات والأسـلحة الثقيلـة، وقالـت الصحافـة العالميـة حينهـا إن "المهندسـين المصريـين اسـتطاعوا بنـاء الكبـاري لعبـور قنـاة السـويس، وأن عمليـة المـرور فيهـا أكـثر سلاسـة منهـا في شـوارع القاهـرة. وقـد بـدأت الملحمـة بعـد حـرب 67 مبـاشرة، ببنـاء دشـم حصينـة لحمايـة الطائـرات مـن ضربهـا عـلى الأرض، وأدركـت القيـادة السياسـية أهميـة الصواريـخ المضـادة للطائـرات، وخـلال حـرب الاسـتنزاف سـطر المقاتـل المـصري سـطورًا مضيئـة، وللتعبـير عـن حجـم الإنجـاز الـذى تحقـق ببنـاء حائـط الصواريـخ قالـت جولـدا مائـير رئيسـة وزراء إسرائيـل آنـذاك: "مواقـع الدفـاع الجـوي المـصري كعـش الغـراب المشـئوم، كلـما دمرنـا إحداهـا نبتـت أخـرى بـدلًا منهـا".. في إشـارة إلى إرادة وتصميم المصريـين عـلى اسـتكمال حائـط الصواريـخ، حيـث اختلـت موازيـن القـوى في المنطقـة، واسـتطاع حائـط الصواريـخ بعـد تحريكـه أن يوفـر شريـط بكامـل طـول قنـاة السـويس وبعـرض مـن 12 إلى 15 كيلـو مـتر شرق القنـاة موفـرًا بذلـك الحمايـة الجويـة اللازمـة لعبـور الأفـراد والأسـلحة الثقيلـة.

يقـول الفريـق سـعد الديـن الشـاذلي رئيـس الإركان الأسـبق في مذكراتـه عـن الحـرب إن الجيـش المـصري حـاول اسـتخدام عـدة وسـائل لفتـح الثغـرات في السـاتر الـترابي مثـل المدفعيـة الثقيلـة والديناميـت إلا أن نتائـج التجـارب لم تكـن مبـشرة، وجـاءت إجابـة تلـك المعضلـة مـن أحـد الضبـاط المصريـين الذيـن عملـوا في بنـاء السـد العـالي حيـث اقـترح فتـح الثغـرات باسـتخدام مضخـات الميـاه، وأجـرى سـلاح المهندسـين تجربـة عـلى تلـك الفكـرة وكانـت النتائـج مذهلـة، وأثبتـت جدارتهـا في الحـرب الفعليـة حيـث اسـتطاع سـلاح المهندسـين فتـح 70 ثغـرة في السـاتر الـترابي بـكل منهـا 1500 مـتر مكعـب، خـلال سـويعات، وبعدهـا مبـاشرة قـام سـلاح المهندسـين ببنـاء: 10 كبـاري ثقيلـة لنقـل وعبـور الدبابـات والمدافـع والمعـدات الثقيلـة، وخمسـة كبـاري خفيفـة حتـى يمكنهـا أن تجتـذب نـيران العـدو وبالتـالي تخفـف مـن هجـوم العـدو عـلى الكبـاري الرئيسـية وهـى مشـابهة للكبـاري الثقيلـة ولكـن حمولتهـا 4 طـن فقـط، كذلـك عـشر كبـاري اقتحـام لعبـور المشـاة، وتجهيـز وتشـغيل 35 معديـة نقـل عـبر القنـاة، وتـم كل هـذا تحـت قصـف أسـلحة العـدو، وبعـون مـن اللـه

تـم عبـور خـط بارليـف أكـبر مانـع مـائي في التاريـخ وانتـصرت القـوات المصريـة وأصـدرت القيـادة العامـة بيانًـا عسـكريًا يلخـص الموقـف العسـكري صبـاح يـوم 24 أكتوبـر 1973.

هكـذا سـيظل نـصر السـادس مـن أكتوبـر ورجـال القـوات المسـلحة مبعـث اعتـزاز وفخـر، وسـتظل ذكريـات وبطـولات النـصر تتوارثهـا الأجيـال جيـلاً بعـد جيـل، توضـح وتظهـر مـدى عبقريـة وشـجاعة المقاتـل المـصري الـذى لقـن الإسرائيليـين درسـاً لـن ينسـوه في فنـون القتـال والتخطيـط والخـداع الإسـتراتيجي، فتحيـة لـكل شـهداء مـصر الأبـرار مـن رجـال القـوات المسـلحة، الذيـن ضحـوا بأرواحهـم الطاهـرة ودماءهـم الزكيـة فـداء لمـصر وحفاظـا عـلى أمـن أراضيهـا واسـتقرار وسـلامة شـعبها.

قبـل كل مـا أسـلفناه لا أحـد يعلـم مـا يحـدث خلـف الميكروفونـات، وداخـل الغـرف الـذي لم يتسـن للكثيريـن الاطـلاع عليهـا، رغـم جذبهـا آذان الملايـين، خرجـت البيانـات الأولى لحـرب أكتوبـر المجيـدة، لتخطـف قلـوب المصريـين وانتبـاه العـالم أجمـع بأصـوات الإذاعيـين يحيـى عبدالعليـم والبُلـك، وصـبري سـلامة، لتسـجل ملحمـة العبـور. نعـم قبـل سـنوات، بـدأت التحضـيرات الأولى لحـرب أكتوبـر بالإذاعـة والتلفزيـون مـن خـلال اجتـماع الرئيـس الأسـبق محمـد أنـور السـادات مـع الدكتـور عبدالقـادر حاتـم وزيـر الإعـلام حينهـا، ووجـه الرئيـس خلالـه، بالتـزام الإعـلام المـصري بالموضوعيـة والمصداقيـة والأداء بشـكل متـوازن. وعـدم الوقـوع في الأسـلوب الحـماسي أو التهويـل أو التهويـن، مثلـما حـدث في تغطيـة نكسـة 1967، وهـو مـا نقلـه الوزيـر إلى رئيـس الإذاعـة محمـد محمـود شـعبان "بابـا شـارو" وقتهـا، وفقـا لعبـد الرحمـن رشـاد رئيـس الإذاعـة الأسـبق وعضـو الهيئـة الوطنيـة للإعـلام.

يقينًـا أنـه لعبـت الإذاعـة المصريـة دوراً كبـيراً عندمـا أنتجـت كلـمات وطنيـة عديـدة، وقامـت بتغطيـة أجـواء الانتصـارات بشـكل مـا زلنـا نتذكـره ونعيـش شـعور الفرحـة والنـصر حتـى الآن ولا ننـسى كـم الكلـمات الوطنيـة التـي أنتجـت خـلال هـذه الفـترة احتفـالاً بالنـصر منهـا «بسـم اللـه.. اللـه أكـبر» التـي ارتبطـت بذكـرى الحـرب التـي غنتهـا مجموعـة مـن مطـربي الإذاعـة أثنـاء الحـرب كتبهـا ولحنهـا بليـغ حمـدي وأيضـاً أغنيـة «صبـاح الخـير يـا سـينا» كتبهـا عبدالرحمـن الأبنـودي ولحنهـا كـمال الطويـل ولم تكـن هـذه الأغنيـة هـي الوحيـدة.. فحـضرت «عـاش الـلي قـال» للشـاعر محمـد حمـزة ولحنهـا بليـغ حمـدي وأغنيـة «لفّـي البـلاد يـا صبيـة» كتبهـا محسـن الخيـاط ولحنهـا محمـد الموجـي وأغنيـة «عـلى الربابـة» مـن كلـمات عبدالرحيـم منصـور ولحـن بليـغ حمـدي وغنتهـا وردة وأيضـاً الفنانـة شريفـة فاضـل واحـدة مـن أبـرز الفنانـين الذيـن قدمـوا أغـاني للحـرب وغنـت أغنيـة «أم

البطـل» بعـد 3 أشـهر مـن النـصر وكتبتهـا صديقتهـا الشـاعرة نبيلـة قنديـل، وغيرهـا مـن الكلـمات التـي مـا زلـت محفـورة بالذاكـرة في وجـدان الشـعب المـصري والعـربي.

الواقـع أنـه كان للبيانـات الأولى للحـرب طابـع خـاص، حيـث اتسـمت بالموضوعيـة والمصداقيـة الشـديدة والالتـزام بالقـراءة بلغـة هادئـة، واعتمـدا عـلى إذاعيـين لديهـم اسـتعداد فكـرى وثبـات انفعـالي قـوي وممزوجـين بهمـوم الوطـن، ولم يركـز عـلى المجتمـع الداخـلي فقـط، بالإضافـة إلى الجبهـة الداخليـة مـن تمويـن وصحـة وحالـة المستشـفيات، ولذلـك نجـح الإعـلام المـصري في تقديـم الحقائـق كاملـة ومـن هنـا كان المصـدر الرئيـسي للوسـائل الإعلاميـة العالميـة وتفـوق عـلى نظـيره الإسرائيـلي.

مـع بدايـة الحـرب، يتذكـر رئيـس الإذاعـة الأسـبق، أن "بابـا شـارو" جمـع الإذاعيـين وطلـب مـن صـبري سـلامة إعـداد حقيبتـه للمبيـت بالمبنـى حتـى انتهـاء الملحمـة، قائـلًا: "وقتهـا تسـابق الإذاعيـين عـلى إعـداد حقائبهـم". لم تقتـصر الأوضـاع بـين المواطنـين وقـت الحـرب عـلى ذلـك الحـس الوطنـي فقـط، فالواقـع عـلى الأرض أنـه منـذ يـوم السـادس مـن أكتوبـر 1973 ولمـدة 16 يومًـا، لم تقـع أي جريمـة جنائيـة في البـلاد، مـا يظهـر أن الوطـن بأكملـه كان عـلى قلـب رجـل واحـد، فضـلًا عـن ظهـور دور المـرأة المصريـة البسـيطة الضخـم وقتهـا بدعمهـا المـشرف للحـرب.

هنـا ووسـط كل ذلـك وفي عديـد كتابـات الكاتـب الصحفيـة وعـبر الفضائيـات... حضرت هـذه المقـالات عـن تطـور البـث الإذاعـي المـصري.. وقصـة نجـاح، ورواد الإذاعـة المصريـة رمـوز العطـاء والتميـز.. تسـجيلات نـادرة صنعـت تاريـخ، كذلـك دور "الإذاعـات الموجهـة" في حـرب أكتوبـر، وقالـوا عـن الإعـلام المـصري في معركـة الكرامـة، كواليـس بيـان حـرب أكتوبـر: "هنـا القاهـرة.. جاءنـا البيـان التـالي"، مراسـلون عسـكريون لعبـوا دورًا بـارزًا خـلال حـرب أكتوبـر، والـدور الوطنـي الإذاعـي في الفيلـم الوثائقـي «صـوت العـرب»، وكيـف حـضر نـصر أكتوبـر 1973.. في أروقـة الشـعر والشـعراء؟، وأيضًـا نـصر أكتوبـر 1973 في أروقـة الكتـب.. والكتـاب. وكان وجوبًـا عـلى الكاتـب تجميـع هـذه الأعـمال في كتـاب واحـد حـضر تحـت عنـوان: (الـدور الوطنـي للإذاعـة المصريـة في حـرب أكتوبـر 1973م).

الكاتب

قناة السويس- مصر

شتاء 2022

عن تطور البث الإذاعي المصري.. وقصة نجاح[1]

لقد عرفت مصر الإذاعة في مراحل متقدمة عن الدول العربية وبالتحديد في سنة 1925 -أي بعد ظهور أول محطة إذاعية في العالم بخمسة سنوات- من خلال محطات أهلية يملكها بعض الهواة وتعتمد في تمويلها على الإعلانات التجارية ومن أمثلتها في لك الوقت راديو فاروق، راديو فؤاد، راديو فوزية، راديو سابو. وفي بداية مايو 1926 مصدر المرسوم الملكي يحدد شروط استخراج تراخيص الأجهزة اللاسلكية طبقًا للاتفاقيات الدولية، وبدأت هذه المحطات الأهلية تذيع بالعديد من اللغات كاللغة العربية وللأجانب في مصر كانت تذيع بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية.

كانت إذاعة "مصر الجديدة"، هي أول إذاعة أهلية، وبعد عامين افتتحت محطة أهلية أخرى أوروبية هي إذاعة "سابو"، وفي العام 1932م افتتحت "محطة راديو الأمير فاروق" وفي الإسكندرية افتتحت إذاعتان أشهرهما "محطة راديو فيولا". وهذه الإذاعات كان يقوم بتشغيلها هواة، لذلك استخدموها كما يحلو لهم، فبعضهم استخدمها لبث رسائل الغرام، والبعض الآخر في الإعلان عن البضائع وايضًا للرسائل الخاصة والموجهه إلى أصدقائهم ولقد حاولت الحكومة المصرية، آنذاك، تنظيم الإذاعات الأهلية والسيطرة عليها، لكن تلك الإذاعات قاومت بشدة وكانت تهدأ أحيانًا وتمتنع عن بث رسائل الغرام، ثم تعود مرة أخرى للعبث.

يأتي الاحتفال باليوم العالمي للإذاعة الذى يوافق الثالث عشر من فبراير، هنا نتذكر الاذاعة المصرية.. صوت بلدنا.. زمن الفن الجميل.. عندما كان الراديو جزءًا أساسيًا من الروتين اليومي للأسرة المصرية.. ذلك الصندوق السحري الذي جمع المصريين حوله وكانت برامجه سببًا في تشكيل وعي الكثير من الأجيال، بل كانت شاهداً على مراحل هامة من تاريخ مصر، واشتركت في بعض الأوقات في صناعة تاريخ مصر والمنطقة بأكملها.. هنا القاهرة كانت أولى الكلمات التي انطلقت عبر الإذاعة المصرية عند افتتاحها في 31 مايو عام 1934م فأصبح هذا اليوم عيدًا للإذاعة المصرية.. ساعة لقلبك، كلمتين وبس، همسة عتاب، أبلة فضيلة، ربات البيوت، لغتنا الجميلة.. الدندرمة وعوف الاصيل وألف ليلة وليلة.. أصوات عباس العقاد وطه حسين ونجيب

(1) عن تطور البث الإذاعي المصري.. وقصة نجاح، رأي اليوم اللندنية، أكتوبر 2021.https://www.politics-dz.com

محفـوظ وتوفيـق الحكيـم والشـيخ الباقـورى ومحمـد رفعـت وغيرهـم مـن العظـماء فى برامـج وحـوارات تمثـل كنـوز الإذاعـة المصريـة.

تظـل الاذاعـة هـي المحـور الرئيـسي في عـالم الإعـلام، فالاسـتماع إلى الإذاعـة يُطلـق لـدى المُتلقـي طاقـات الخيـال والتصـور ويحملـه عـلى الإنصـات بتركيـز أكـثر إلى الكلـمات والمقاطع والنغـمات، وقـد وافقـت اليونسـكو عـلى اعتـماد اليـوم العالمـي للإذاعـة في 13 فبرايـر مـن كل عـام، وجـاءت فكـرة الاحتفـال بهـذا اليـوم مـن قبـل الأكاديميـة الإسـبانية للإذاعـة وجـرى تقديمهـا رسـميًا مـن قبـل الوفـد الدائـم لإسـبانيا لـدى اليونسـكو في الـدورة 187 للمجلـس التنفيـذي في سـبتمبر 2011م.

لقـد أطلقـت الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة هـذا الاحتفـال السـنوي بدايـة مـن ديسـمبر 2012 فأصبـح بذلـك يومـاً تحتفـي بـه جميـع وكالات الأمـم المتحـدة وصناديقهـا وبرامجهـا وشركاؤهـا، حيـث دعمـت شـتى الـوكالات الإذاعيـة هـذه المبـادرة وحثـت المحطـات الإذاعيـة في الـدول المتقدمـة عـلى مسـاعدة المحطـات في البلـدان الناميـة بهـدف الانتبـاه إلى مكانـة هـذه الوسـيلة الأساسـية للإعـلام والاتصـال في المشـهد الإعلامـي المحـلي.

الإذاعة.. تطورات متلاحقة:

تمثـل الإذاعـة منـذ نهايـة القـرن 19 وسـيلة إعـلام هامـة أكـثر مـن أي وقـت مـضى، وقـد بـدأت تكنولوجيـا الإذاعـة تحـت صيغـة "الـبرق اللاسـلكي" ويعـود هـذا الاخـتراع إلى اخـتراع تكنولوجيتـي الهاتـف والـبرق.. ومـع مجـيء التكنولوجيـات الجديـدة وتلاقـي وسـائل الإعـلام المختلفـة، أخـذت الإذاعـة بالتحـول والانتقـال إلى منصـات بـث جديـدة، مثـل الإنترنـت ذات النطـاق العريـض، والهواتـف الخلويـة والصفائـح الرقميـة.. وتبقـى الإذاعـة ملائمـة في العـصر الرقمـي بفضـل الاتصـال الدائـم للنـاس عـبر الحواسـيب والأقـمار الصناعيـة ووسـائل التواصل المتحركـة، وتـرى اليونسـكو أن الإذاعـة موائمـة بشـكل خـاص للوصـول إلى الجماعـات المحليـة النائيـة والمهمشـة، وتلعـب الإذاعـة دورًا هامًـا في حـالات الطـوارئ كـما أنهـا إحـدى الوسـائل الأكـثر توفيقًـا لتوسـيع الوصـول إلى المعـارف، وتعزيـز حريـة التعبـير، وتشـجيع الاحـترام المتبـادل والتفاهـم مـا بـين الثقافـات. فـما زالـت الإذاعـة الوسـيلة الإعلاميـة الأكـثر نشـاطاً والأكـثر تفاعـلاً مـع النـاس والأكـثر إشراكاً للجمهـور، إذ تتكيـف الإذاعـة مـع التغـيرات التـي نشـهدها في القـرن الحـادي والعشريـن وتوفّـر سُـبلاً جديـدة للتفاعـل والمشـاركة. وتملـك الإذاعـة قـدرة فريـدة عـلى الجمـع بـين النـاس وتيسـير إقامـة الحـوار البنّـاء فيـما بينهـم

مـن أجـل إحـداث التغيـير المنشـود، بينـما يـرى البعـض أن اسـتخدام مواقـع التواصـل الاجتماعـي يـؤدى إلى تشـتت الجمهـور وتـشرذم النـاس وحبسـهم في فقاعـات إعلاميـة مـع مـن يشـاطرونهم الآراء.. وتعمـل الإذاعـة عـلى إعلامنـا وتغيـير أحوالنـا عـن طريـق برامجهـا الترفيهيـة والإخباريـة، وكذلـك البرامـج الحواريـة التـي تُـشرك فيهـا المسـتمعين.

شـهدت الاذاعـة تطـورات متلاحقـة زادتهـا انتشـاراً عندمـا ظهـر الترانزسـتور كثـورة حقيقيـة في مجـال الاتصـال فأصبـح جهـاز اسـتقبال الراديـو رخيـص الثمـن وفي متنـاول يـد الملايـين، هـذا التزايـد والانتشـار لأجهـزة اسـتقبال الراديـو تأكيـدًا لفكـرة أن الراديـو هـو أكـثر وسـائل الاتصـال انتشـاراً في كل وقـت وفي كل مـكان.

يسـتمع النـاس حاليًـا إلى محطـات AM وFM عـبر أجهـزة الراديـو أو الهواتـف المحمولة أكـثر مـن الاسـتماع إليهـا عـبر الأقـمار الصناعيـة (السـاتلايت) أو الإنترنـت.. بـل إنـه فـرض نفسـه كوسـيط عـلى الهواتـف المحمولـة التـي أصبحـت أداة لبـث محطـات إذاعيـة كثـيرة، تجـذب عـددًا كبـيرًا مـن المسـتمعين في بلـدان كثـيرة.

هنا القاهرة.. من الإذاعة المصرية:

هنـا القاهـرة.. عبـارة حماسـية تحمـل مشـاعر الانتـماء للوطـن وكانـت مـن أولى الكلـمات التـي انطلقـت عـبر الإذاعـة المصريـة عـلى لسـان أحمـد سـالم في افتتاحهـا عـام 1934 وتـم اعتمادهـا كعبـارة رسـمية لبـدء إرسـال كل الإذاعـات المصريـة التـي انطلقـت في السـنوات التاليـة.. "أحمـد سـالم" أول مذيـع في الإذاعـة المصريـة وكان مـن أوائـل الإذاعيـين المصريـين وهـو أحـد سـبعة تولـوا مسـؤولية الإذاعـة الوليـدة ووضعـوا أسـس العمـل بهـا، وهـم: محمـد سـعيد لطفـى باشـا، محمـد فتحـي، عـلي خليـل، أحمـد كـمال سرور، مدحـت عاصـم، وعفـاف الرشـيدي.. رغـم دراسـته لهندسـة الطـيران بانجلـترا إلا أنـه لم يعمـل في بـه إلا فـترة وجيـزة، وأتـاح لـه صوتـه المميـز وإطلاعـه بـأن يـترأس القسـم العـربي بالإذاعـة المصريـة.. لم تمكـن أدوات التسـجيل القديمـة آنـذاك مـن حفـظ تـراث "أحمـد سـالم" وأحالـت بـين وصولـه إلى الأجيـال المعـاصرة، قـدم اسـتقالته بعـد أن عـرض عليـه "طعـت حـرب" أن يتفـرغ لإنشـاء شركـة مـصر للتمثيـل، وبنـى اسـتوديو مـصر عـلى أحـدث طـراز آنـذاك.

لقـد قـد عرفـت مـصر الإذاعـة في منتصـف العشرينيـات مـن القـرن المـاضي واسـتمرت الإذاعـات الأهليـة في إرسـالها حتـي توقفـت عـن الإرسـال في 29 مايـو 1934م لتـترك مكانهـا للمحطـة الحكوميـة التـي بـدأت يـوم 31 مايـو 1934م فأصبـح هـذا اليـوم عيـدًا للإذاعـة المصرية.

الأفندية والبكوات في يوم افتتاح الإذاعة المصرية:

بـدأت الإذاعـة المصريـة افتتاحهـا في تمـام السـاعة الخامسـة والنصـف مسـاء يـوم 31 مايـو عـام 1934 بآيـات مـن الذكـر الحكيـم بصـوت الشـيخ محمـد رفعـت، وتلاهـا إنطـلاق صـوت الآنسـة أم كلثـوم التـي تقاضـت 25 جنيهًـا نظـير إحيائهـا للإفتتـاح، وغنـى أيضًـا في ذلـك اليـوم المطـرب صالـح عبـد الحـي، ثـم مطـرب الملـوك والأمـراء محمـد عبـد الوهـاب وشـمل برنامـج الاذاعـة حسـين شـوقي أفنـدي الـذي ألقـى قصيـدة لأمـير الشـعراء أحمـد شـوقي بـك، وألقـى الشـاعر عـلي بـك الجـارم بصوتـه قصيـدة تحيـة لملـك البـلاد فـؤاد الأول ملـك مـصر والسـودان، والمونولوجسـت محمـد عبدالقـدوس، والموسـيقيان مدحـت عاصـم وسـامي الشـوا"، ومـع أحمـد سـالم كان المذيـع محمـد فتحـي الـذي عـرف بلقـب "كـروان الإذاعـة".

تطور البث الإذاعي.. قصة نجاح:

لقـد مـر تاريـخ الإذاعـة في مـصر بعـدة مراحـل لـكل مرحلـة سـماتها وهـي: الإذاعـات الأهليـة وعهـد شركـة ماركـوني البريطانيـة ومرحلـة التمصـير وعهـد الثـورة ومرحلـة الشـبكات الإذاعيـة والسـيادة الإعلاميـة حتـى الآن.

الإذاعات الأهلية.. ذات صبغة تجارية:

عرفـت مـصر الإذاعـة قبـل عـام 1926م وتميـزت المحطـات الأهليـة بتركـز معظمهـا في مدينتـي القاهـرة والإسـكندرية, وكانـت معظـم برامجهـا باللغـة العربيـة بينـما كانـت تذيـع بالإنجليزيـة والفرنسـية والإيطاليـة للأجانـب في مـصر، وكان معظـم أصحـاب تلـك المحطـات مـن التجـار الذيـن يرغبـون في ترويـج سـلعهم بصفـة عامـة وتجـار أجهـزة الراديـو بصفـة خاصـة الذيـن أقامـوا المحطـات الإذاعيـة للترويـج لتجارتهـم وتحقيـق الربـح مـن وراء إذاعـة الإعلانـات التجاريـة, مثـل محطـة راديـو فـؤاد التـي أنشـأها عزيـز بولـس ومحطـة راديـو فـاروق التـي أنشـأها إليـاس شـقال، كـما كانـت معظـم هـذه المحطـات شركات بـين عـدد مـن الأفـراد، وكانـت ضعيفـة الإرسـال لا تغطـي أكـثر مـن الحـي الـذي تذيـع منـه ومعظمهـا أقيمـت في غرفـة أو شـقة صغـيرة، وكانـت تتعـرف عـلي رغبـات مسـتمعيها عـن طريـق الخطابـات والمكالمـات.. وتـراوح إرسـال معظـم هـذه المحطـات الأهليـة مـا بين 2 - 4 سـاعات يوميًـا سـواء عـلى فـترة ارسـال واحـدة أو عـلى فترتـين وكان الجـزء الأكـبر مـن المضمـون

الإذاعي الذي تقدمه معظم هذه المحطات ترفيهيا مما دفع الجمهور إلى الشكوى من بعض المضامين الإذاعية وكانت المهاترات بين المحطات الأهلية من أهم أسباب إغلاقها وتوقفت عن الإرسال في 29 مايو 1934م لتترك مكانها للمحطة الحكومية التي بدأت ارسالها في31 مايو 1934.

الإذاعة في عهد شركة ماركوني:

وافق مجلس الوزراء في يوليو 1932 على أن تتولى شركة ماركوني التلغرافية اللاسلكية كوكيل عن الحكومة المصرية إدارة الإذاعة وتشغيلها وصيانتها وإعداد البرامج والمذيعين, وبدأ العمل في إقامة محطات الإرسال وكذلك الاستوديوهات الإذاعية في مبني شركة ماركوني في شارع علوي خلف البنك الأهلي المركزي حيث أقامت الشركة خمسة استوديوهات، وشهدت هذه المرحلة إشراف وزارة المواصلات على الإذاعة حتي إنشاء وزارة الشئون الاجتماعية في 20 أغسطس 1939م فأصبحت الإذاعة إحدى اداراتها، وفي 19 ابريل 1942 أصبحت الإذاعة تابعة لإشراف وزارة الداخلية وعاد الإشراف علي الإذاعة لوزارة الشئون الاجتماعية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية علي أن يبقى لوزارة المواصلات اختصاصها المتمثل في الإشراف على صيانة أجهزة المحطة وادارتها من الناحية الفنية وتحصيل رسوم الرخص والتفتيش عليها.

شهد المضمون الإذاعي خلال هذه المرحلة ارتفاعًا ملحوظًا في مستواه وكانت هناك محطتان اذاعيتان هما البرنامج الرئيسي بمتوسط ساعات إرسال 14 ساعة والبرنامج الأوروبي المحلي وكان يقدم مواد ترفيهية وإعلامية للأجانب المقيمين بالقاهرة والاسكندرية لمدة أربع ساعات يوميًا باللغتين الانجليزية والفرنسية.

تكوين المجلس الأعلى للإذاعة:

يعود ارتفاع مستوي المضمون البرامجي في هذه المرحلة مقارنة بمرحلة الإذاعات الأهلية, إلى عدة عوامل منها استقلال الإذاعة وتكوين المجلس الأعلى للإذاعة الذي أوكل إليه الإشراف على البرامج وإقرارها والوعي الذي تميز به جيل الرواد الذين تولوا مسئوليات العمل الإذاعي في هذه المرحلة وقامت الإذاعة بتأدية وظائفها الاخبارية والإرشادية حيث تمثل دور الاذاعة في هذه المرحلة في رسم وتقرير القيم الحقيقية للشخصية المصرية من جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وكان

للأحاديث الإذاعية لطه حسين والعقاد وفكري أباظة وأحمد أمين وسهير القلماوي دورها المهم في توجيه الرأي العام.

تمصير الإذاعة.. "الإذاعة اللاسلكية المصرية":

تأزمت الأمور بين مصر وبريطانيا بسبب عدم جلاء القوات البريطانية وتقديم مصر شكوى ضد بريطانيا في مجلس الأمن، وقيام خلاف بين الحكومة المصرية والشركة البريطانية على سياسة الأخبار الإذاعية, تم تسليم الإذاعة من شركة ماركوني في 27 مارس 1947 وأصبح الجانبان البرامجي والإداري في يد المصريين, وأنشئت في 18 مايو 1947م ادارة الاذاعة اللاسلكية المصرية, وتشكل مجلس ادارة للإذاعة وأصبح للإذاعة ميزانيتها المستقلة التي تعطي لمجلس الإدارة اختيار المذيعين والكتاب والأدباء والموسيقيين وغيرهم دون التقيد باللوائح المالية العادية وتسلمت الحكومة المصرية محطة الإذاعة وأصبحت مصرية شكلًا ومضمونًا منذ 31 مايو 1946 وشهد عام 1948 انتقال الإذاعة من مقرها في شارع علوي إلى شارع الشريفين بطاقة 13 استوديو, وشهدت هذه المرحلة أيضًا صدور تشريع للإذاعة وهو القانون رقم 98 لسنة 1949 وأصبحت بمقتضاه الإذاعة هيئة مستقلة ذات شخصية معنوية تلحق برئاسة مجلس الوزراء وتسمي الإذاعة المصرية.

الإذاعة المصرية.. الدور والرسالة:

تمثل الدور المهم للإذاعة المصرية في هذه المرحلة في غرس القيم الحقيقية للشخصية المصرية من خلال الكوادر المصرية فلغة الإذاعة العربية الفصحى, والدين له مكانته المرموقة في البرامج والتاريخ المصري والعربي والإسلامي موضع عناية واهتمام، والعلم يلقي اهتمامًا متزايدًا واستخدمت الإذاعة ساعة جامعة القاهرة لتعلن الوقت عدة مرات كل يوم للإعلان وتوجيه الأنظار نحو هذه المنارة العلمية، كما أنشأت قسمًا للأخبار وبدأت ملامح التمصير تظهر حيث عدل الأسبوع الإذاعي ليبدأ يوم السبت من كل أسبوع اعتبارًا من 11 فبراير 1949 وحل المصريون محل الأجانب.

الإذاعة المصرية مؤسسة عامة ذات شخصية اعتبارية:

نقلت تبعية الإذاعة المصرية من رئاسة مجلس الوزراء إلى وزارة الارشاد القومي في 10 نوفمبر 1952 وفي 15 فبراير 1958 صدر القرار الجمهوري رقم 183 لسنة

1958 باعتبار الإذاعة المصرية مؤسسة عامة ذات شخصية اعتبارية وإلحاقها برئاسة الجمهورية، وأصبحت عام 1961 من المؤسسات العامة ذات الطابع الاقتصادي وسميت المؤسسة المصرية العامة للإذاعة والتليفزيون وفي عام 1962 تم ضمها إلى وزارة الإرشاد القومي وصدر عام 1971 القرار الجمهوري رقم 1 لسنة 1971 بإنشاء اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وشهدت تلك الفترة تطورًا حيث زادت ساعات الإرسال وأصبحت برامج الإذاعة بأربع وثلاثين لغة وأنشئت اذاعة صوت العرب (1953) اذاعة الاسكندرية الإقليمية (1954)، البرنامج الثاني (1957)، اذاعة الشعب (1959)، إذاعة فلسطين (1960)، اذاعة الشرق الأوسط (1964)، اذاعة القرآن الكريم (1964)، البرنامج الموسيقي (1968)، واذاعة الشباب (1975)، بالإضافة إلى الاذاعات الموجهة التي أنشئت عام 1953.

في ابريل 1981 تم تطبيق نظام الشبكات الإذاعية, بالإضافة إلى وجود الاذاعات المصرية على القمر المصري النايل سات 101, والنايل سات 102 وبدأ البث الرسمي للشبكات الاذاعية: البرنامج العام، صوت العرب، الشرق الأوسط، وسبع اذاعات موجهة من خلال أول قمر صناعي اذاعي (افريستار) اعتبارًا من 30 أكتوبر 1999، كذلك امتداد ارسال بعض الشبكات الاذاعية على مدي أربع وعشرين ساعة حتى لا يصمت صوت الاذاعة المصرية ولو للحظة واحدة خاصة مع وجود أحداث عالمية وعربية تهم المستمع المصري والعربي ويرغب في متابعة تطوراتها من خلال الإعلام المصري.

الإذاعة المصرية.. تاريخ من الفن والمعرفة:

في كتابه الثري «الاذاعة المصرية.. مصر تتحدث عن نفسها»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة «حكاية مصر»، يقدم لنا «أحمد محمد درويش» أربعة فصول ومقدمة، تناولت العالم عبر الأثير و«هنا القاهرة»، و«الاذاعة والثورة»، و«استعادة الثقة». وظهور الإذاعة كان خطوة كبرى في سعي الإنسان نحو تقدمه. وأسهمت في رفع اهتمام المواطن بالشأن السياسي، وتذوق الفنون من شتى مجالات الإبداع. والفصل الأول يعرض لتاريخ نشأة الإذاعة اللاسلكية عالميًا، واستخداماتها الأولى على الصعيدين التجاري والسياسي، والتدخل الحكومي في عمل الإذاعات الأهلية وإخضاعها لسيطرة الدولة، مع رصد حالة المجتمع المصري قبل ظهور الإذاعة اللاسلكية، وتقبل المجتمع لهذا الاختراع العجيب آنذاك، وانتشار الإذاعات الأهلية، وألقى الضوء على عقد الحكومة المصرية مع شركة ماركوني العالمية لإنشاء إذاعة

رسـمية تؤسسـها وتديرهـا الشركـة وتملكهـا الدولـة. ويغطـي الفصـل الثـاني مرحلـة تنفيـذ المـشروع، والشـخصيات المؤسسـة مـن الـرواد الأوائـل أصحـاب الكفـاءة والثقافـة العليـا المتصلـة بالعلـوم والفنـون، وجـاءت اختيـارات الحكومـة المصريـة عـلى نحـو مـشرف، فكانـت رئاسـة لجنـة البرامـج العليـا للدكتـور «عـلي باشـا إبراهيـم» رائـد النهضـة الطبيـة في مـصر الحديثـة، ومكتشـف الكولـيرا الآسـيوية، وأول عميـد مـصري لكليـة الطـب، ومؤسـس نقابـة الأطبـاء، وأول نقيـب لهـا، ثـم عـين وزيـرًا للصحـة، وكان شـخصية اجتماعيـة مرموقـة، وذوّاقـة للشـعر. والعضـو الثـاني «حافـظ باشـا عفيفـي»، الطبيـب، ووزيـر الخارجيـة في وزارتي محمـد محمـود باشـا، وصدقـي باشـا، ثـم عـين وزيـرًا مفوضًـا لمـصر في لنـدن. والعضـو الثالث «حسـن فهمـى رفعـت» باشـا، وكيـل وزارة الداخليـة، ومؤسـس البوليـس السـياسي.

يبقـى أنـه جديـر بالذكـر أن الإذاعـة المصريـة اسـتطاعت الحفـاظ عـلى مكانتهـا لـدى الجمهـور عقـب بـدء البـث التليفزيـوني رغـم مـا تـردد وقتهـا أن التليفزيـون سـيقضي عـلى الإذاعـة أو يجحـم دورهـا، كـما تـردد عقـب بـدء البـث الإذاعـي سـنة 1934 أن الإذاعـة سـتقضي عـلى الصحافـة المكتوبـة.

رواد الإذاعة المصرية رموز العطاء والتميز..
تسجيلات نادرة صنعت تاريخ[1]

تأتي البدايات عندما تولى سعيد باشا لطفي أول رئيس للإذاعة المصرية من عام 1934 حتى 1947، ثم جاء محمد بك قاسم من 1947 حتى عام 1950، ثم محمد حسني بك نجيب من 1950 حتى عام 1952 وعبد الحميد فهمي الحديدي من 1966 حتى 1969، محمد محمود شعبان من 1972 إلى 1975، صفية زكي المهندس من 1975 إلى 1982 ثم فهمى عمر من 1982 حتى 1988، أمين بسيوني من 1988 إلى 1991 وحلمي مصطفي البلك من 1991 إلى 1994 وفاروق شوشة من عام 1994 حتى 1997، حمدي الكنيسي من 1997 إلى 2001 ، عمر بطيشة من 2001 إلى 2005، إيناس جوهر من 2005 إلى 2009، انتصار شلبي من 2009 إلى 2011، إسماعيل الششتاوي من 2011 إلى 2013، عادل مصطفى من 7/2/2013 إلى 19 / 7 / 2013 وعبد الرحمن رشاد ثم نادية مبروك.

على مدى تاريخها حمل رواد الإذاعة على عاتقهم نشر الثقافة والإبداع بين جموع الشعب المصري، وكان منهم على سبيل المثال وليس الحصر محمد محمود شعبان "بابا شارو"، صفية المهندس أول صوت نسائي إذاعي انطلق ليس في الإذاعة المصرية فحسب بل في إذاعات المشرق العربي كله، وجدى الحكيم، جلال معوض، نجوى أبو النجا، أمنية صبري، آمال العمدة، سامية صادق، علي خليل، طاهر أبوزيد، نادية توفيق ،صالح مهران، أحمد سعيد، سناء منصور، هالة الحديدي، محمد مرعي، سلوان محمود، صبري سلامة، آيات الحمصاني، سامية صادق، نادية صالح، أحمد الليثي، عبده دياب، محمد يوسف، جمالات الزيادي، إكرام شعبان، علي فايق زغلول، محيي محمود، إمام عمر، صديقة حياتي، نجوان قدري، ايناس جوهر وغيرهم من رواد واساتذة ورموز الاعلام المصري.

الإذاعة في عصرها الذهبي.. شكلت وعي الجماهير:

برامج إذاعية رغم أنها سجلت في أربعينيات القرن الماضي إلا أنها لا تزال تعيش في وجدان الناس حتى الآن.. كانت "الإذاعة المصرية" مصدر الترفيه والتثقيف الأول

(1) رواد الإذاعة المصرية رموز العطاء والتميز.. تسجيلات نادرة صنعت تاريخ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 17 أكتوبر 2021.https://www.politics-dz.com

لـدى المصريـين.. تميـزت بأنهـا تقـدم الكثـير مـن البرامـج الجماهيريـة التـي كانـت تجـذب الجمهـور إليهـا، فقـد حفـر الكثـير مـن عمالقـة الإذاعـة المصريـة أسـمائهم وأصواتهـم في أذهـان وأذان المسـتمعين عـلى مـر السـنين، مـن خـلال تقديـم مضامـين هادفـة ذات رسـالة ومـن هـذه البرامـج:

- برنامـج "عـلى الناصيـة" أشـهر برنامـج إذاعـي التفـت حولـه الأسر المصريـة عـبر إذاعـة البرنامـج العـام كانـت تقدمـه آمـال فهمـي واعتـاد المسـتمعون أن ينتظـروه في الواحـدة والنصـف بعـد ظهـر يـوم الجمعـة، وبـدأ البرنامـج عـام 1957 عرضـت مـن خلالـه مشـكلات المجتمـع وواجهـت بهـا المسـئولين واسـتمر لمـدة تجـاوزت 50 عامًـا.
- برنامـج "كلمتـين وبـس" بـدأ عـام 1968 وكان يقدمـه الراحـل فـؤاد المهنـدس واهتـم بعـرض السـلبيات والروتـين، وكثـيرًا مـا كان يسـتعين هـذا البرنامـج بالأسـلوب الدرامـي في عرضـه لسـلبيات المجتمـع المـصري والمؤسسـات الحكوميـة، وكان البرنامـج يبـدأ كل صبـاح في السـاعة الثامنـة الإ خمـس دقائـق يوميًـا، وكان يكتبـه أحمـد شـفيق بهجـت وإخـراج يوسـف حجـازي لمـدة 35 عامًـا.
- برنامـج "همسـة عتـاب" كان يقـدم يوميًـا في تمـام الثامنـة والنصـف صباحًـا بإذاعـة البرنامـج العـام إخـراج رضـا سـليمان وكان يتنـاول الهمـوم اليوميـة للمصريـين خصوصًـا صراعهـم مـع البيروقراطيـة الحكوميـة، فاهتـم البرنامـج بعـرض شـكاوى المواطنـين في قالـب درامـي عـلى مـدار أيـام الأسـبوع.
- ربـات البيـوت هـو أهـم وأشـهر برامـج المـرأة في الإذاعـة المصريـة وقـد تتابـع عـلى إدارة هـذا البرنامـج العديـد مـن المذيعـات بدايـة بالإذاعيـة صفيـة المهنـدس وجـمالات الزيـادي وكان يتضمـن العديـد مـن الفقـرات الاذاعيـة التـي تعـد مـن الـتراث الآن أشـهرها خالتـي بمبـة وعيلـة مـرزوق افنـدي.
- غنـوة وحدوتـة لأبلـة فضيلـة وتعتـبر أبلـة فضيلـة مـن أشـهر مذيعـات الإذاعـة المصريـة واسـتطاعت بصوتهـا وشـخصيتها أن تربـط أجيـالاً مـن الأطفـال بالإذاعـة المصريـة.
- غمـض عنيـك وامـشى بخفـة ودلـع الدنيـا هـى الشـابة وأنت الجدع تشـوف رشـاقة خطوتـك تعبـدك لكـن أنـت لـو بصيـت لرجليـك تقـع وعجبـى".. هكـذا كان يبـدأ

برنامج "تسالي" على إذاعة الشرق الأوسط، برباعية صلاح جاهين، التي رددها الناس مع الإذاعية "إيناس جوهر" والتي كانت تفتتح بها دائما برنامجها.

- قال الفيلسوف" برنامج يومي يذاع على اذاعة البرنامج العام منذ عام 1975 يعرض البرنامج الصفات الجميلة للبشرية والتي يفضل التعامل بها، الحلقات قام ببطولتها الفنان سعد الغزاوي والفنانة سميرة عبد العزيز ومن اخراج إسلام فارس.
- لغتنا الجميلة.. "أنا البحر في أحشائه الدر كامن.. فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي"، مقدمة "لغتنا الجميلة" أهم وأعظم برنامج قدمه الشاعر فاروق شوشة في عام 1967 عبر أثير الإذاعة ليبهرنا ويتحفنا بمئات الحلقات التي ظلت راسخة في وجدان ملايين من المصريين والأمة العربية.
- برنامج محو الأمية في الإذاعة المصرية في السبعينات.. الأستاذ قمحاوي أو عبد البديع قمحاوي.. يا أهل بلدي في كل مكان.. م المنزلة لغاية أسوان.. يلي إتحرمتوا من التعليم الفرصة لسه قدامكوا... من غير ما تغرموا ولا مليم إذاعتنا جايه تعلمكوا.
- برنامج (طريق السلامة) بصوت الاذاعي الراحل حسن عبد الوهاب، وأغرب القضايا للمخرج عبده دياب وقدم منه 613 حلقة على مدى تاريخه، برنامج "الغلط فين" الذي كان يقدم للمستمع العربي المعلومات من خلال عمل درامي ناجح، زيارة لمكتبة فلان.. يعتبر من علامات الإذاعة المصرية وتقدمه نادية صالح منذ أكثر من أربعين عاماً واستضافت من خلاله رموز الفكر والثقافة والفن في مصر.. تلك البرامج تم تقديمها على مدار بث الإذاعة المصرية وتركت في وجداننا بصمة كبيرة لما كانت تتميز به من تترات ومضامين هادفة.

على مدى تاريخها قدمت الإذاعة العديد والعديد من البرامج التي ارتبط بها الملايين، منها «مجلة الهواء» لفهمي عمر، «بصراحة» لوجدي الحكيم، و"فنجان شاي" لسامية صادق، «عصر من الغناء» لجلال معوض، «أسبوعيات» طاهر أبوزيد، «التعليقات على مباريات الدوري العام» لفهمي عمر، «ألحان زمان» لهالة الحديدي، «صحبة وأنا معهم» لآمال العمدة، «رأي الدين» لهاجر سعد الدين، «شاهد على

العصر»، «حديث الذكريات» لأمنية صبري، «كتاب وليلة»، «عربي علم العالم» لأمين بسيوني، «أضواء على الجانب الآخر» لنجوى أبو النجا و«صوت المعركة» لحمدي الكنيسي.

أصوات المقرئين بالإذاعة المصرية:

ابتهالات وقراءات عدة للقرآن الكريم حظيت بها الإذاعة المصرية من خلال أبرز المقرئين الذين خلدت أصواتهم وكان من أبرزهم الشيخ "محمد رفعت" قيثارة السماء والشيخ "محمد الصيفي" الذي كان حجة في قراءات القرآن السبع وحصل على عالمية الأزهر، ويُعتبر مدرسة متفردة في القراءة، كما كان الشيخ "علي حزين" من أبرز الأصوات التي حفظتها الإذاعة المصرية منذ افتتاحها عام 1934، وتنفرد مصر بأنها أنشأت أول إذاعة قرآن كريم على مستوى العالم بدأت في بث إرسالها في 29 مارس 1964 ومن أشهر قرائها الشيخ عبدالباسط عبد الصمد ومصطفى إسماعيل والشيخ عبدالفتاح الطاروطي والشيخ محمد الليثي والشيخ الطبلاوي والشيخ طه الفشن والشيخ محمد صديق المنشاوي والشيخ عبدالعزيز حصان وهي مختصة للقراء المصريين كما تعد من أشهر المحطات الاذاعية ويذاع فيها برنامج براعم الايمان وموسوعة الفقه الإسلامي.

رمضان في الإذاعة المصرية.. مذاق مختلف:

يعد رمضان أهم شهور العام لدى وسائل الإعلام فتحرص القنوات الإذاعية على تقديم أفضل ما تملك من أفكار وبرامج، وشهدت الإذاعة بعد 6591 طفرة نوعية، تمثلت في تقديم العديد من المواد التي تعتمد على عناصر الإبهار السمعي المتاحة بالإذاعة آنذاك في محاولة لتقديم مواد ترفيهية راقية ومواد ثقافية ودينية في إطار برامج منوعات ثقافية وتمثيليات وغيرها، ومن أشهر المواد التي منحت الإذاعة نكهة خاصة في شهر رمضان: ألف ليلة وليلة هذه الرائعة الإذاعية الخالدة التي كتبها طاهر أبو فاشا وأخرجها الرائد الإذاعي محمد محمود شعبان.. بدأت الإذاعة المصرية لأول مرة في بث حلقات ألف ليلة وليلة في الخمسينات، قامت الراحلة زوزو نبيل بدور شهرزاد، وعبدالرحيم الزرقاني بدور شهريار وتربى على سماعها الكثير والكثير من الأجيال المصرية والعربية ، وفوازير رمضان التي ألف حلقاتها الأولى بيرم التونسي وقدمتها بطريقة مميزة آمال فهمي، والسمسميّة من إخراج محمد محمود شعبان

وأداهـا المنولوجسـت سـيد المـلاح مسـتعيناً بآلـة السمسـمية وتضمنـت حلقاتهـا توجيهـاً للالتـزام بسـلوك أخلاقـي رفيـع أو نقـد سـلوك مـا، ورمضـان حـول العـالم وهـو برنامـج خـاص يقـدم لمحـات مـن العـادات الاجتماعيـة المرتبطـة بشـهر رمضـان في مختلـف البـلاد الإسـلامية، مـع تقديـم بعـض المعلومـات التاريخيـة والجغرافيـة عـن هـذه البـلاد، كذلـك مـن وحـي قصـص القـرآن الكريـم وبـث مبـاشر مـن مسـجد الحسـين لتـلاوة القـرآن لمشـاهير القـراء قبيـل صـلاة الفجـر.

تضـم مكتبـة الإذاعـة المصريـة تسـجيلات نـادرة لقـادة وزعـماء ونجوم كـما تضـم توثيقاً لأحـداث مصريـة وعربيـة مهمـة عـلى كافـة المسـتويات بينهـا وثائـق صوتيـة حـول معاهـدة 1936 بـين الحكومـة المصريـة والإمبراطوريـة البريطانيـة.. "مـن أجـل مـصر وقعـت معاهـدة 6391 ومـن أجـل مـصر أعلـن اليـوم إلغـاء المعاهـدة".. عبـارة شـهيرة جـاءت عـلي لسـان الزعيـم مصطفـي النحـاس يـوم 8 أكتوبـر 1591 عـبر الإذاعـة المصريـة وكان خطابـاً تاريخيـاً انضـم إلى تـراث الإذاعـة مـع خطابـات أخـرى غـيرت مصـير المحروسـة سياسـياً ليكـون مـن أوائـل سلسـلة المواقـف التاريخيـة التـي مـرت عـلى الإذاعـة"، كذلـك تفاصيـل حفـل تـولي الملـك فـاروق حكـم مـصر حيـث ألقـى الملـك فـاروق أولى خطبـه عـبر الإذاعـة المصريـة في 8 مايـو 6391 مـن قـصر القبـة وبيـان حركـة يوليـو 2591 الأول بصـوت البكبـاشي أنـور السـادات وتجاوبـت الجماهـير مـع البيـان وتوالـت برقيـات التأييـد الفرديـة والجماعيـة عـلى الإذاعـة فلقـد عرفـت الحركـة منـذ اللحظـة الأولى أهميـة الإذاعـة في تعبئـة الـرأي العـام, حيـث قدمـت خـلال شـهر واحـد مـن قيامهـا 51 حديثًـا وطنيًـا و35 برنامجًـا خاصًـا و17 تمثيليـة اذاعيـة وطنيـة و37 قصيـدة شـعرية وزجليـة تؤيدهـا وتـشرح أهدافهـا. وبيـان جمال عبـد النـاصر الـذي ذهـب إلى الإذاعـة بمبنـي الشريفـين يـوم 82 سـبتمبر 1691 ضـد إنهـاء الوحـدة المصريـة السـورية، كذلـك إذاعـة خطـاب تنحـي عبـد النـاصر في 9 يونيـو 7691 عـن الحكـم وأعلـن خلالـه تحملـه المسـئولية.

بثـت الإذاعـة المصريـة في يـوم 6 أكتوبـر البيانـات العسـكرية وانتصـارات الجيـش المـصري. وفي الحـادي عـشر مـن فبرايـر 2011 تعلـن الإذاعـة انتهـاء نظـام مبـارك مـن خـلال بيـان عمـر سـليمان معلنـاً تنحـي الرئيـس الأسـبق مبـارك، لتكـون الإذاعـة المصريـة بذلـك شـاهداً عـلى الكثـير مـن أهـم الأحـداث.

استديوهات الإذاعة.. غرفة عمليات للمقاومة الإفريقية:

شهدت خمسينيات القرن العشرين حركات تحرر شملت معظم البلاد الإفريقية، وكانت السياسة المصرية في تلك الفترة تلتزم بمناصرة ودعم حركات التحرر عامة، وحركات التحرر العربية والأفريقية خاصة. ولعبت الإذاعة المصرية في تلك الفترة دوراً بالغ الأهمية، فأنشأت مصر عدداً من الإذاعات الموجهة إلي البلاد الأفريقية المحلية باللغتين الإنجليزية والفرنسية، فضلاً عن اللغات المحلية الأفريقية مثل الهوسا والفولاني والسواحلي، وتوافدت قيادات المقاومة الأفريقية علي القاهرة لتتمكن من توجيه قوات المقاومة عبر أثير إذاعات القاهرة بعيداً عن بطش قوات الاحتلال، وتحولت استديوهات الإذاعات الموجهة في القاهرة إلى ما يشبه غرفة عمليات لقيادة المقاومة ضد قوات الاحتلال الأجنبية. ولم يقتصر دور الإذاعات الموجهة على دعم المقاومة، فامتد إلى المساهمة في دعم العلاقات الأفريقية والعربية، على أساس يضمن تقارباً استراتيجياً على المستوى الشعبي، واعتمدت خطة القاهرة في هذا المجال على تقديم برنامج لتعليم الشعوب الإفريقية اللغة العربية عن طريق الإذاعات الموجهة، وبالفعل تم إعداد مناهج لهذا الغرض بالاشتراك مع اليونسكو، وأصبح برنامج تعليم العربية بالراديو أحد أهم علامات النشاط الإذاعي إفريقياً.

الإذاعة المصرية.. إذاعة وطنية ورائدة في المنطقة كلها:

لقد لعبت الإذاعة المصرية دورا مهمًا في حركات التحرر ومساندة الثورات المصرية ضد الاحتلال وكانت صوت الأمة المعبر عن ضمير الشعب المصري بل والعربي في كل المجالات عن دورها الوطني في محاربة الاحتلال والمطالبة بالاستقلال، وحول تلك الذكريات التي لا تنسى ينقل عن الإعلاميين القديرين فهمي عمر وأمينة صبري والذى بدأه فهمي عمر قائلًا

تقول أمينة صبري إن دور الإذاعة المصرية في كل المجالات بما فيها المجال السياسي وحركات التحرر والإستقلال لم يقتصر على مصر والشأن الداخلي فقط بل كان قرار الرئيس جمال عبدالناصر ببث إذاعة صوت العرب والتي إلتحقت بها في بدايات عملي سنة 68 حتى وصلت إلى رئيس لإذاعة صوت العرب في الفترة من 1999 حتى 2005 وكان قرار الرئيس عبدالناصر قرار حكيم ووطنيًا يؤمن بالوحدة العربية والقومية العربية

ولعبت صوت العرب دورًا مهمًا في مساندة الشعوب العربية في كل المجالات حيث كانت مدرسة كبرى للتواصل والتفاعل مع الشعوب العربية وكانت رؤية الرئيس عبد الناصر أن مصر لابد أن يكون لها دور عربي وأفريقي وإسلامي وهذا يتحقق من خلال نافذة إعلامية، ولذلك كان إنشاء صوت العرب وهى صاحبة رسالة ودور لا ينسى، حيث تؤمن بالقضايا العربية والثورات العربية وهي الإذاعة الوحيدة التي كانت تخاطب ضمير الأمة العربية بالكامل

لقد ظلت الإذاعة المصرية منارة تثقيفية وتنويرية منذ نشأتها عام 1934 حتى الآن.. قامت بدور وطني وقدمت عمالقة الفكر والنجوم في كافة المجالات وكانت صوتًا للشعب المصري وساهمت في معالجة قضاياه ومشاكله وعبرت عن آماله وطموحاته، فقد استطاعت الإذاعة منذ البث الأول أن ترتقي بالذوق العام وأن تكون مصدرًا قويًا للمعلومات وأن تصل إلى الجمهور على أوسع نطاق.. وفي عصر التقنيات الحديثة لا تزال أداة اتصال ووسيلة إعلام قوية ومؤثرة.

دور "الإذاعات الموجهة" في حرب أكتوبر[1]

تُعد الإذاعة المصرية، هي الثالثة على مستوى العالم، بعد إذاعة «بي بي سي» و«صوت أمريكا»، فقد جرى تأسيس أولى الإذاعات الموجهة 68 عامًا تقريبًا، بشأن تعريف شعوب العالم بمصر، وأن تنقل ثقافتها وحضارتها، إذ أنها بمثابة القوة الناعمة. وكانت «الإذاعات الموجهة» بالإذاعة المصرية تضم 17 إذاعة موجهة، وتبث بـ23 لغة، بلغات أهلها إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية، وكان عدد ساعات البث يوميًا 61 ساعة. وبدأ تأسيس أولى الإذاعات المواجهة، بداية مع إنشاء إذاعة «صوت العرب» عام 1953، وكانت موجهة إلى الجمهور في أمريكا الشمالية واستراليا وجنوب شرق آسيا وغرب إفريقيا، إذ أنها لم تكن مسموعة بالنسبة للجمهور في مصر. وكانت أولى المحطات التي جرى تأسيسها هي «البرنامج العبري» وبعدها بشهور قليلة جرى تأسيس «البرنامج الإندونيسي» وكذلك «برنامج العرب» و«البرنامج الإنجليزي». وفي عام 1954، جرى تأسيس الإذاعة الموجهة إلى جمهور إفريقيا، حيث تُعد اللغة السواحيلية من أكثر اللغات انتشارًا في دول حوض النيل، وبعدها بعامٍ واحد جرى تأسيس محطة «البرنامج الأمهري» وهي موجهة لجمهور دولة إثيوبيا. وفي عام 1955، جرى إنشاء «البرنامج الإسباني والبرتغالي» وكانت موجهة إلى الجمهور في أمريكا الجنوبية، وفي عام 1956، تم تأسيس محطة موجهة لغرب إفريقيا، بلغة الهوسا والفرنسية والإنجليزية، إذ تُعد الأولى هي الأكثر انتشارًا في نيجيريا وغانا وتوجو. وكان من أشهر برامج الإذاعة الموجهة: «الحقيبة الإفريقية»، وتبث باللغة السواحلية، وتستعرض العلاقات الإفريقية والتعاون من أجل التنمية، و«حكايات إفريقية»، برنامج فني وثقافي يتناول تاريخ مختلف الحضارات الإفريقية، و«بين السياسة والتنمية» ويقدم باللغة الأمهرية، ويلقى الضوء على المشروعات المصرية في قلب الدول الإفريقية المختلفة، و«مصر تتحدث عن نفسها» ويعرض باللغتين الفرنسية والأمهرية، ويرصد الرؤى المصرية في العلاقات مع دول حوض النيل.

نعم يبقى أن هناك الكثير من الجنود المجهولين في حرب السادس من أكتوبر 1973، ليس شرطًا أن يحمل بندقية أو يقف خلف مدفع أو حتى يكون سائقًا لحافلة نقل جنود أو معدات عسكرية في أرض المعركة، بل يوجد من حاربوا خلف الميكروفون

(1) دور "الإذاعات الموجهة" في أكتوبر.. "صوت القاهرة" باللغة العبرية، رأي اليوم اللندنية. 23 أكتوبر 2021. https://www.raialyoum.com

داخل حجرة صغيرة معزولة عن العالم، في محاولة منهم لإرسال صوت مصر إلى العمق الإسرائيلي والعالم بأسره عبر أثير "شبكة الإذاعات الموجهة"، التقوا بأسرى وأذاعوا بيانات وكشفوا أسرارًا للجميع لم يكن مقدر لها أن تصل إلا من خلال أشخاص يتحدثون العبرية مثل أي مواطن نشأ في إسرائيل.

شهادة حسن علي حسن:

حسن علي حسن المدير العام السابق لشبكة الإذاعات الموجهة، يروي بعض من كواليس العمل داخل الإذاعات الموجهة بصفة عامة والبرنامج العبري بصفة خاصة قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر. يؤكد أن الدور الرئيسي لشبكة الإذاعات الموجهة كان أثناء وبعد حرب أكتوبر 1973، حيث أنها نقلت ما يدور في ميدان المعركة بصورة صادقة لكل دول العالم، وعلى وجه الخصوص البرنامج العبري الموجه إلى إسرائيل، وكان هناك إيمان بإرسال الصورة الكاملة بما يعكس صدق الموقف المصري والتطورات التي تحدث في الحرب، مشيرًا إلى أن التركيز على عنصر المفاجأة وعبور القناة كان الجانب الأهم في بيانات الإذاعة ونشراتها. وأوضح أن فقرات وبيانات شبكة الإذاعات الموجهة كانت تهدف إلى تأكيد أن المبرر الأساسي لهذه الحرب هو استرجاع الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام 1967 في شبه جزيرة سيناء، مشيرًا إلى أن جميع بيانات القوات المسلحة الصادرة أثناء الحرب تم ترجمتها بلا استثناء وإذاعتها مباشرة. وأشار إلى أن شبكة الإذاعات الموجهة لعبت دورًا مهما أثناء حرب الاستنزاف، حيث إنها كانت تذيع تقارير عن العمليات التي يقوم بها الجيش المصري خلف خطوط العدو، وكان البرنامج العبري يقوم بإذاعة بيانات المتحدث العسكري المصري وبيانات الجيش الإسرائيلي لتوضيح الفجوة الواضحة بين البيانات والانتصار المصري في عملياته من خلال توضيح عدد الإصابات والقتلى، ونترك للمستمع الإسرائيلي تقييم المعلومات، بخاصة وأن الإسرائيليين كانوا يميلون لبيانات جيشهم وإذاعاتهم، لكن هذه الصورة قد تغيرت بعد حرب 1973. وأضاف أنه خلال حرب أكتوبر بدأت الإذاعات الأخرى ووكالات الأنباء العالمية تنقل عن شبكة الإذاعات الموجهة التي نجحت في أن تجعل معظم الإسرائيليين يقوموا بتحويل مؤشر الراديو ليستمعوا إلى البرنامج العبري الذي يبث من مصر، ويمكن تخيل الحالة النفسية للإسرائيلي حينما يستمع لإذاعة عبرية تكون مقدمتها "صوت القاهرة" باللغة العبرية.

كشف حسن علي عن أن البرنامج العبري كان يقوم بعمل مقابلات مع الأسرى الإسرائيليين وكان أبرزهم العقيد "عساف ياجوري" الذي قام مراسل البرنامج أحمد الحملي بمحاورته، وكان كل بيت في إسرائيل يستمع إلى البرنامج العبري من أجل التعرف على ما إذا كان أحد من أبنائه وقع في الأسر أم لا. كما حققت الإذاعات الموجهة انتشارًا واسعًا جدًا في الساحة الإسرائيلية بعدما أدرك الإسرائيليون كذب بيانات جيشهم والتأكد من هزيمته في الحرب، ولم يجدوا سوى الإذاعة العبرية ليستقوا منها المعلومات، بخاصة بعد فقد الثقة في إذاعة صوت إسرائيل، وإذاعة الجيش الإسرائيلي.

الواقع على الأرض هو أن المذيعين كانوا يعملون بنظام "الشيفتات" ولكن أثناء الحرب كان العمل يستمر طوال اليوم بقوة 90% من العاملين بالإذاعة وكان النوم في الإستديوهات، حيث إن البرنامج العبري كان يذاع على مدار 17 ساعة من السادسة صباحًا وحتى التاسعة صباحًا، ومن الثانية عشر ظهرًا وحتى الواحدة صباحًا، فجميع العاملين بالبرنامج العبري لم يُسمح لهم بعمل تقارير ميدانية وتحقيقات من داخل الميدان أو بعد قرار وقف إطلاق النار، لكن كان يتم الاستعانة بالتقارير التي كان يعدها العاملون بالبرامج الأخرى. كذلك فالفترة التي أعقبت الحرب استمرت شبكة الإذاعات الموجهة في عملها حتى أثرت في الإسرائيليين وأصبحوا مقتنعين أن تكون هناك نتائج للحرب وأن تكلل بالسلام. كما قام البرنامج العبري ببث مباشر لتسليم جثث الجنود الإسرائيليين في وجود الأمم المتحدة بمنطقة بالوظة.

كانت مفاجأة، زلزال دبّ في منازل دولة الاحتلال الإسرائيلي، ارتباك وحسرة وخوف التفوا حول شعبهم فاختنقوا، نداءات واستغاثات في كُل مكان بتل أبيب بسرعة الانضمام إلى جيشهم المحتل للتصدي للقوات المصرية الباسلة، لم يجدوا حينها سوى البرنامج العبري الذي يُبث من مبنى ماسبيرو بالقاهرة، ليتعرفوا على حقيقة ما جرى لهم، وما يدور في أرض المعركة "كان برنامجنا في بيت كل إسرائيلي، واحنا كنا بنرد على كل كذبة يقولوها، بنعرفهم خسايرهم وانتصارتنا"، هكذا يصرح يقولها بفخر حسن علي حسن، قارئ بيانات النَصر باللغة العبرية.

كان يوم السادس من أكتوبر في بدايته تقليديًا، هدوء داخل الاستديو الخاص بالبرنامج داخل ماسبيرو، قضى 3 ساعات من 6 صباحًا حتى التاسعة، ثم غادر المكان متجهًا إلى منزله في منشية بكري، لم ينم، ظل جالسًا يستمع إلى الراديو "بقيت بقلب

بـين الإذاعـات، وبالصدفـة سـمعت إشـارة في الإذاعـة الإسرائيليـة فاسـتغربت" هـو يـوم إجازتهـم "قولـت يبقـى فيـه حاجـة غريبـة بتحصـل، فشـغلت وفضلـت أسـمع".

"الحـرب بـدأت.. القـوات المصريـة عـبرت القنـاة" سـمعها حسـن بالعـبري بصـوت المذيـع الإسرائيـلي "بيقولهـا بفـزع رهيـب، وانـا في منتهـى السـعادة" قفـز الرجـل الثلاثينـي حينـذاك مـن مقعـده، ارتـدى ملابسـه عـلى عجالـة، وحـين سـألته زوجتـه وهـو يخـرج مـن البيـت إلى أيـن يذهـب "قولتلهـا مـصر بتحـارب" بينـما يهـرول إلى الشـارع ليسـتقل تاكـسي ويُخـبره بالتوجـه إلى مبنـى ماسـبيرو.

عـلى نـار مـرت المسـافة بـين منزلـه ومقـر عملـه "طـول الطريـق عايـز أعـرف عملنـا إيـه" لـذا حـين وصـل إلى ماسـبيرو قطـع درجـات السـلم إلى الاسـتديو في ثـواني "لقيـت النـاس كأنهـا في فَـرح، روح معنويـة مرتفعـة، بيباركـوا لبعـض، والنـاس بتتهافـت عشـان تشـتغل وتلحـق تذيـع البيانـات" كان الاسـتديو مزدحـمًا بكافـة العاملـين والمُذيعـين الـذي وصـل عددهـم إلى 20 شـخص حـضروا جميعـا دون اسـتدعاء. فالاسـتديو الهـادئ تحـول إلى خليـة نَحـل "بيانـات النـصر أول مـا توصلنـا، نترجمهـا ونذيعهـا عـلى طـول" حـين وقـف الرجـل أمـام الميكرفـون ومُـرر اخبـار قواتنـا المُسـلحة خفـق قلبـه "مـش عـارف أسـيطر عـلى نفـسي مـن السـعادة، كان واضـح جـدًا في صـوتي" بيـان تلـو الآخـر يؤكـد تكبيـد العـدو أكـبر خسـائر في التاريـخ، وزحفنـا المُقـدس تجـاه أراضينـا، ومـا فعلتـه الضربـات الجويـة ورجالنـا في أرض المعركـة "وكل مـا هـما يطلعـوا بيـان، كنـا نسـمعه ونطلـع الحقيقـة ونكدبهـم بعدهـا بدقايـق". مـر اليـوم سريعًـا، بـدا الانهـاك عـلى الجميـع "بـس مرضينـاش نمـشي، بيتنـا في الاسـتديو حـوالي 3 أيـام، كنـا بنـام عـلى الموكيـت ومكنتـش بنفكـر فيـه حاجـة غـير بلدنـا" قـام المسـؤول عـن البرنامـج الإذاعـي أحمـد الحمـلي بتوزيـع المهـام بـين متابعـين للأخبـار العربيـة وآخريـن يرصـدون مـا تقولـه دولـة الاحتـلال الإسرائيـلي "وأنـا وباقـي زمايـلي بنذيـع الأخبـار" بينـما يصـل إليهـم ولولـة مُذيعـي تـل أبيـب عـلى خسـائرهم.

لم يتوقـف دورهـم فقـط عـلى البيانـات العسـكرية، اقـترح الحمـلي فكـرة سـديدة "إننـا نسـجل مـع الأسرى الإسرائيليـين، ونذيـع عشـان أهاليهـم هنـاك يعرفـوا مصيرهـم" انطلـق مسـؤول البرنامـج إلى الجبهـة لنقـل حكايـات وكلـمات النـدم عـلى لسـان الأسرى "وبقينـا نعمـل تنويـه لمعـاد الإذاعـة، ونقـول اسـم الأسـير الـلي هيتكلـم" تبـث اعترافاتهـم وحديثهـم عـن القـادة الذيـن تركوهـم وحدهـم دون مـدد أو غـوث وحسرتهـم عـلى مـا آلـت إليـه الأمـور "عشـان إسرائيـل تعـرف إن معنوياتهـم في الأرض".

بعـد أيـام هـدأت وتـيرة الحَـرب، اطمـئن الجميـع عـلى تحقيـق مـصر لانتصـار كبـير "هنـا رجعنـا لبيوتنـا وقسـمنا التواجـد في الاسـتديو علينـا عشـان نفضـل نـأدي دورنـا" لكنـه ظـل متابعًـا حتـى خـلال تواجـده في بيتـه مـا يـدور "والارتبـاك الكبـير الـلي كان بايـن في إذاعـة إسرائيـل وقلقهـم مـن الـلي حصـل" يجعلـه ذلـك مُنتشـيًا وسـعيدًا.

مـا يـزال حسـن -المديـر العـام السـابق لشـبكة الإذاعـات الموجهـة- حـين يتذكـر تلـك الأيـام المجيـدة يتأثـر بوجـوده في تلـك اللحظـة الهامـة مـن تاريـخ البـلاد "سـعيد إني عمـل دور كان مهـم إني أعملـه، وشـارك في حـدث مبيتكـررش في العُمـر مرتـين" يغلبـه الحـماس خـلال سرده عـن مـا جـرى كأنـه يعيـش التجربـة الآن "أيـام عظيمـة، وعشـت اليـوم الـلي سـمعت فيـه الإسرائيليـين مكسـورين بعـد مـا كانـوا بيتكلمـوا دايمًـا بعنجهيـة، بـس خـلاص أيـام دي ولـت".

تبقـى هـي الانتصـارات العظيمـة لا تنـسى رغـم مـرور السـنوات، تتوارثهـا الأجيـال وتظـل علامـة فارقـة في تاريـخ الشـعوب، وكلـما مـر عليهـا عـام زاد رونقهـا وعلـت قيمتهـا وأفصحـت عـن كنوزهـا، رغـم مـرور أعـوام عـلى حـرب أكتوبـر، إلا أنهـا مـا زالـت حـاضرة في كل بيـت وشـارع ومدينـة ومـا زالـت أغنيـة "اللـه أكـبر بسـم اللـه" التـي تعـد أول أغنيـة تـم إذاعتهـا عقـب تحطيـم خـط بارليـف تـتردد في كل شـوارع المحروسـة. فالحديـث عـن كل الجوانـب في حـرب أكتوبـر يحتـاج لسـنوات وفـرق عمـل لحـصر كل مـا حـدث وفي هـذا التوقيـت وبتلـك الدقـة التـي أذهلـت أعتـى أجهـزة الاسـتخبارات في العـالم بعمليـة غـير معهـودة في أجهـزة إعـلام الـدول التـي غالبـا مـا ينحـصر عملهـا بـين "التضخيـم في الـذات أو التهويـن مـن العـدو" وفي كلتـا الحالتـين تكـون القيـادة والشـعب تحـت تأثـير الهالـة الإعلاميـة التـي يمكنهـا تحويـل النـصر إلى هزيمـة والعكـس، وهـو الواقـع الـذي مـرت بـه مـصر وبشـكل بعيـد جـدا عـن الواقـع قبـل وبعـد الخامـس مـن يونيـو 1967.

قبـل 1967 لم يكـن ليسـمح للإعـلام أن يتحـدث إلا بنغمـة التبجيـل والتمجيـد والمـدح للحاكـم ولم يكـن هنـاك أي مجـال للمصارحـة وكشـف الأوراق والتحذيـر مـن كـوارث قـد تكـون قـادة، حتـى كشـفت الأيـام والوقائـع كل شيء وعـلى مـرأى ومسـمع مـن العـالم كلـه، فكانـت صدمـة قاسـية للقـادة قبـل الشـعب، اسـتيقظت مـصر كلهـا بـل والعـالم العـربي مـن غفوتهـا ومـن الأحـلام التـي كانـت تطـير بهـا في السـماء، بـدأت الأقـدام تلامـس الأرض ولكـن بـكل أسـف كانـت الأرض مليئـة بالأشـواك والقنابـل وحطـام قواتنـا، تغـير كل شيء بعـد هـذا التاريـخ المـؤلم "الخامـس مـن يونيـو 1967".

لقد خاضت مصر حرب استنزاف طويلة الأمد واستطاعت خلالها تنفيذ الكثير من العمليات القتالية الناجحة ضد العمق في قلب اسرائيل أو في سيناء، خلال تلك الفترة كانت مصر تقوم ببناء حائط الصواريخ وتنحى جانبًا إعلام النكسة، وبدأ نوع جديد من الإعلام مبني على العلم والنظريات وكيفية استخدام هذا السلاح الخطير لتحقيق مكاسب على الأرض، بدأت مصر وبالتعاون مع سوريا في التنسيق باستخدام المتاح من الأسلحة الروسية والتشيكية وغيرها من الأسلحة بعدما قرر السادات تنويع مصادر السلاح، كان أبرز ما في تلك المرحلة وضع وزارة الثقافة والإعلام حملة "اعرف عدوك" في مقدمة الحملات حتى لا يتم تغطية الجندي الإسرائيلي بهالة لا يستحقها وليصبح الجندي والقائد يعرف عدوه جيدا قبل أن يلقاه.

هنا يأتي ذكر أبو الإعلام المصري والرجل الذي أعد الجبهة الداخلية للحرب وقاد عملية التعتيم الإعلامي على كل ما يدور، بل خدع العدو بسيناريوهات مقصوده حتى رسخ داخل العدو أن عمليات التحركات العسكرية المصرية ما هي إلا أوراق للاستهلاك المحلي وتهدئة الشارع إنه الدكتور محمد عبد القادر حاتم، والذي كلفه السادات بقيادة الجبهة الداخلية لكي يتفرغ لخطط الحرب، حيث كانت رئاسة الحكومة وقتها ضمن مناصب رئيس الجمهورية، قام الدكتور حاتم بمهمة الخداع الإعلامي وإعداد الدولة للحرب إلى أن جاءت ساعة الصفر، لم تصدق إسرائيل وقتها أن المصريين جادون في الحرب هذه المرة نظرًا لتكرار البلاغات السابقة وتكاليف رفع حالة القوات، تم اختيار التوقيت بعناية شديدة، وقال هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية عام 1973 في مذكراته، عندما جاء إلى مصر لأول مرة في الأيام الأخيرة من حرب أكتوبر وفي أول لقاء له مع الرئيس السادات "سيدي الرئيس قبل أي حديث بيننا أرغب من سيادتكم أن تقول لي كيف أمكن لمصر أن تخدعنا وتخدع مخابراتنا بل وتخدع العالم بهذا التعتيم الإعلامي... لقد كانت المفاجأة معجزة ولم تحدث لي من قبل في حياتي"، وقال إيلي زعيرا، رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي في كتابه "حرب يوم الغفران... أسطورة في مواجهة الواقع": "لقد تبين لنا أن كل موضوعات الإعلام المصري كانت حملة خداع من جانب الرئيس المصري أنور السادات أو شخص بجواره، وأن هذا ليعتبر أكبر نجاح لمصر في حرب يوم الغفران".

يتحدث عبدالقادر حاتم "عندما أبلغني المشير أحمد إسماعيل بأن قواتنا المصرية كبدت العدو خسائر فادحة في معركة الدبابات وأن العدو خسر في هذه المعركة 70 دبابة وسمعت إذاعة إسرائيل تذيع خبرا عن هذه المعركة بالذات توضح فيه أنها خسرت 50 دبابة، أصدرت تعليماتي في الحال إلى رئيس الإذاعة ليذيع بيانًا بأن قواتنا المسلحة دمرت 30 دبابة في معركة الدبابات وتمت إذاعته وبعدها مباشرة اتصل المشير أحمد إسماعيل ليقول لي أنه استمع من إذاعتنا لخبر معركة الدبابات وأخبرته بأن ما يقوله صحيح بالفعل ولكن هدفنا من إذاعة الثلاثين دبابة فقط رغم إعلان إسرائيل بأنها خسرت 50 دبابة في هذه المعركة هو سعينا لاسترداد ثقة العالم في الإعلام المصري... فبرغم ما أذاعته كل أجهزة الإعلام العالمية في هذه المعركة فإن الإعلام المصري اكتسب مصداقية العالم كله وبذلك استطعنا استرداد ثقة العالم وأن إسرائيل هي التي تذيع الأكاذيب، وكان العالم قد اكتشف كذبها عندما أذاعت من قبل في بداية المعركة بأنها هشمت عظام المصريين في الوقت الذى كانت كل وسائل الإعلام العالمية تشاهد تحطيم خط بارليف ورفع العلم المصري على بقاع عديدة من أرض سيناء"، ونجح حاتم في إجبار ديان وزير الدفاع الإسرائيلي أن يقول أمام ضباط الجيش الإسرائيلي بعد ثلاثة أسابيع من بداية سريان وقف إطلاق النار في حرب يوم الغفران وكأنه أراد الاعتذار عن التأخير في تعبئة قوات الاحتياط "لم يكن أحد يتوقع حتى صبح يوم الغفران أن تنشب الحرب في ذلك اليوم ولا تبدأ تعبئة الاحتياط قبل ذلك... فحتى صباح يوم الغفران لم أفكر أنا شخصيًا في أن الحرب ستقع ولم أسمع من أي شخص أن الحرب ستندلع حقًا... ولم أكن الوحيد الذي أعتقد ذلك"، وأكد وزير الدفاع ديان هذا الكلام مرة ثانية أمام الحكومة الإسرائيلية قائلًا: لم أسمع من أي شخص أنه يعتقد أن الحرب ستندلع في هذا اليوم.

لم يكن الإعلام عقيمًا بل كان لدى المسؤول مساحة للتحرك ووضع استراتيجيات جديدة تتناسب مع الواقع فتم تطوير المنظومة بالكامل ووضع عناصر جديدة لم تكن معهودة في السابق ومن بين عناصر الخطة الإستراتيجية والتي تستهدف التضليل والخداع والتمويه، كانت الإذاعة العبرية وكان الهدف من إنشائها أن تصل إلينا أخبار إسرائيل وأن نقدم لها أخبارنا بما تتضمنه من تعتيم وتضليل إعلامي وما نخفيه عن إسرائيل من استعدادنا لقيام الحرب أو أننا سندخل المعركة بل نريد أن نوهم إسرائيل

بـان قواتنـا المسـلحة في حالـة اسـترخاء تـام واحبـاط ويـأس بعـد نكسـة 67، وتصـور البعـض أن مجـرد التفكـير في شـفائنا مـن هـذه الوعكـة يحتـاج إلى مـدة طويلـة وقـد نجحـت الإذاعـة العبريـة التـي لم يعـرف أحـد مكانهـا ولا مـن أيـن تبـث إرسـالها في تحقيـق رسـالتنا الإعلاميـة، وقـد اسـتهدفت شريحـة كبـيرة مـن الشـباب الإسرائيـلي وكانـت تركـز عـلى أمـر مهـم وهـو أن مـصر تكـره الحـرب وتعتبرهـا إثمًـا كبـيرًا وقـد حرمتهـا كل الأديـان السـماوية يهوديـة ومسـيحية وإسـلام... وكانـت إسرائيـل قـد أعلنـت عـن قيامهـا بمنـاورة عسـكرية في سـيناء المحتلـة وكان مـن المفـترض أن يصـدر بيـان عـن مـصر أو أخبـار عـن رد فعلنـا عـن هـذه المنـاورة... وكان ردنـا كـما أذكـر سـلبيا للغايـة فقـد تجاهلنـا هـذه المنـاورة تمامًـا ولم يصـدر منـا أي تعليـق بشـأنها في جميـع وسـائلنا الإعلاميـة رغـم اسـتمرارها لمـدة أسـبوعين وعـلى مـرأى مـن قواتنـا غـرب القنـاة... وكان لهـذا التجاهـل والتضليـل أثـره الكبـير في خداع إسرائيـل وتأكدهـا بأننـا شـعب لا يريـد الحـرب وإننـا عاجـزون تمامًـا عـن القيـام بـأي عمـل عسـكري في هـذه الفـترة وهـو مـا أكدتـه الإذاعـة العبريـة مـن خـلال أقـوال السياسـيين والعسـكريين ليـس في مـصر وحدهـا بـل في كثـير مـن دول العـالم ومـن بعـض أصدقـاء إسرائيـل نفسـها، كـما أوضحـت الإذاعـة العبريـة مـن خـلال خطتنـا الإعلاميـة في التضليـل والتعتيـم أن العـرب عمومـا لا يعرفـون العمـل الجماعـي ولكنهـم يقـدرون العمـل الفـردي الـذى يحقـق لهـم مصالحهـم الخاصـة.

قالوا عن الإعلام المصري في معركة الكرامة[1]

لا شك أنها الانتصارات العظيمة لا تنسى رغم مرور السنوات، تتوارثها الأجيال وتظل علامة فارقة في تاريخ الشعوب، وكلما مر عليها عام زاد رونقها وعلت قيمتها وأفصحت عن كنوزها، رغم مرور الأعوام على حرب أكتوبر، إلا أنها ما زالت حاضرة. فالحديث عن كل الجوانب في حرب أكتوبر يحتاج لسنوات وفرق عمل لحصر كل ما حدث وفي هذا التوقيت وبتلك الدقة التي أذهلت أعتى أجهزة الاستخبارات في العالم بعملية غير معهودة في أجهزة إعلام الدول التي غالبا ما ينحصر عملها بين "التضخيم في الذات أو التهوين من العدو" وفي كلتا الحالتين تكون القيادة والشعب تحت تأثير الهالة الإعلامية التي يمكنها تحويل النصر إلى هزيمة والعكس، وهو الواقع الذي مرت به مصر وبشكل بعيد جدا عن الواقع قبل وبعد الخامس من يونيو 1967.

رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو:

قبل 1967 لم يكن ليسمح للإعلام أن يتحدث إلا بنغمة التبجيل والتمجيد والمدح للحاكم ولم يكن هناك أي مجال للمصارحة وكشف الأوراق والتحذير من كوارث قد تكون قادة، حتى كشفت الأيام والوقائع كل شيء وعلى مرأى ومسمع من العالم كله، فكانت صدمة قاسية للقادة قبل الشعب، استيقظت مصر كلها بل والعالم العربي من غفوتها ومن الأحلام التي كانت تطير بها في السماء، بدأت الأقدام تلامس الأرض ولكن بكل أسف كانت الأرض مليئة بالأشواك والقنابل وحطام قواتنا، تغير كل شيء بعد هذا التاريخ المؤلم "في الخامس من حزيران 1967".

لقد خاضت مصر حرب استنزاف طويلة الأمد واستطاعت خلالها تنفيذ الكثير من العمليات القتالية الناجحة ضد العمق في قلب اسرائيل أو في سيناء، خلال تلك الفترة كانت مصر تقوم ببناء حائط الصواريخ وتنحى جانبا إعلام النكسة، وبدأ نوع جديد من الإعلام مبني على العلم والنظريات وكيفية استخدام هذا السلاح الخطير لتحقيق مكاسب على الأرض، بدأت مصر وبالتعاون مع سوريا في التنسيق باستخدام المتاح من الأسلحة الروسية والتشيكية وغيرها من الأسلحة بعدما قرر السادات تنويع

(1) قالوا عن الإعلام المصري في معركة الكرامة، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية. 24 اكتوبر 2021. https://www.politics-dz.com

مصادر السلاح، كان أبرز ما في تلك المرحلة وضع وزارة الثقافة والإعلام حملة "اعرف عدوك" في مقدمة الحملات حتى لا يتم تغطية الجندي الإسرائيلي بهالة لا يستحقها وليصبح الجندي والقائد يعرف عدوه جيدا قبل أن يلقاه.

الرئيس الأمريكي نيكسون:

في مذكراته: "إنها لخيبة أمل كبيرة لكل من المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية التي كنا نظن أنها ممتازة، بل إن ما حدث يعد فشلا، فلم نعرف أن الحرب ستندلع إلا قبل ساعات قليلة من اندلاعها".

هل أمر السادات باغتيال موشيه ديان

الجنرال ياكوف هداي:

ياكوف الذي كان عضوا في لجنة التحقيق العسكرية حول ما حدث في حرب أكتوبر قال "إن مصر وضعت نهاية الثقة الإسرائيلية بأنفسهم كما أنها أنهت تفاؤلهم".

الجنرال "إبراهام كامير":

هو أحد قادة القوات الإسرائيلية بعد انتهاء الحرب "لا يوجد أي فرد في القوات الإسرائيلية على أي مستوى تنبأ بأن مصر ستدخل الحرب حتى جميع تقارير الـ CIA المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي لم يكن لديها أي اتجاه بأن الحرب ستحدث ولكن حدثت المفاجأة التي هزت إسرائيل هزًا، وذلك لأن الإعلام المصري قام بسلسلة من الخداعات "الخطط الخداعية والتعتيم الإعلامي" على استعداد مصر للمعركة طوال عام كامل.

صحيفة الأوبزرفر:

في 7 /10 /1973: كتبت الصحيفة البريطانية في هذا التاريخ تعليقًا حول الوضع أيام 1967 والوضع الحالي في الشرق الأوسط قائلة "الاختلاف الكبير بين مصر في حربها اليوم ومصر منذ ستة أعوام هو أنه في عام 1967 انتشرت حمى الحرب بين أفراد الشعب المصري قبل أن تبدأ الاشتباكات بحوالي ثلاث أسابيع فقط وأعطى جهاز الدولة للدعاية صورًا لانتصار عربي ساحق واستمر ذلك حتى أيام الحرب القليلة وتحت تأثير الحملة الدعائية المحمومة كان أفراد الشعب خاضعين لحرب نفسية حقيقية وغير

قادريـن عـلى تقديـر الموقـف- ومـن كلـمات تلـك الصحيفـة يتضـح بجـلاء الأسـلوب العلمـي الـذي اتبعـه الإعـلام المـصري في المعركـة والـذي أعلـن عنـه أكـثر مـن مـرة وفي أكـثر مـن مناسـبة وهـو يرتكـز عـلى دعائـم رئيسـية كشـفت عنهـا الصحيفـة منهـا: "عـدم التهويـن بـين قوتنـا أو قـوة العـدو ورفـع شـعار إعـرف عـدوك، وتقديـم صـورة حقيقيـة وصادقـة للمواطـن عـن الموقـف وهـو مـا جعـل الشـعب يعـرف أيـن يقـف بالضبـط دون تهويـن أو تهويـل.

صحيفة بروتكايل طوكيو:

في يـوم 10 /10 /1973:كتـب مراسـل الصحيفـة بالقاهـرة "يقـول بمقارنـة البيانـات التـي تصـدر الآن بتلـك التـي كانـت تصـدر أثنـاء حـرب الأيـام السـتة يونيـو 1967 نجـد أن البيانـات التـي تصـدر هـذه المـرة حـول المعركـة الحاليـة موثـوق بهـا ويعتمـد عليهـا وهـذه الحقيقـة لم يعـترف بهـا المصريـون فحسـب وإنمـا الدبلوماسـيون والمراقبـون الآخـرون في القاهـرة وأن مضمـون تلـك البيانـات تؤكـد دائمًـا مـا يعرضـه التلفزيـون".

وكالة الأنباء الفرنسية:

قالـت في برقيـة لهـا يـوم 10/10 /1973 "ومـما يذكـر أن لهجـة البيانـات العسـكرية مازالـت مقنعـة عـلى عكـس مـا حـدث عـام 1967 فـإن البيانـات تشـير دائمًـا إلى أن هنـاك ثمـة نجـاح ولكنهـا لا تشـير إلى النـصر الكامـل أو تدميـرًا للعـدو وهكـذا فـإن درس 1967 قـد أثمـر وكل شيء بـدا عـلى أن الحكومـة المصريـة تحسـب حسـاب الأيـام القادمـة.

وكالة رويترز:

قـال مراسـل الوكالـة بالقاهـرة إن تنظيـم حضـور المراسـلين الأجانـب لعمليـة استسـلام الموقـع الإسرائيـلي كان أكـثر مـن رائـع.

الإكسبريس الفرنسية:

نقلـت الصحيفـة في عددهـا الصـادر يـوم 18 /10 /1973 تصريـح الجـنرال مـاني فيليـب أحـد القـادة الإسرائيليـين في جريـدة معاريـف الإسرائيليـة قولـه "لطالمـا هددنـا القـادة بالأوهـام بيـد أنـه في الوقـت الـذي تفرغنـا فيـه لتعلـم الكـذب تعلم العـرب كيـف يقاتلون".

اسرائيل بين مسيرة الأعلام.. ومسيرة الأوهام!

هـي بدايـات لـ«مسـيرة الأعـلام» الإسرائيليـة بأجوائهـا وصورهـا ورسـائلها أقـرب إلى «بروفـة مبكـرة» لمـا يمكـن أن يحـدث في المسـتقبل المنظـور مـن تفاعـلات وصدامـات وحـروب. قـد لا توجـد في الأفـق السـياسي الملغـم أيـة إشـارات عـلى حلـول سياسـية محتملـة للـصراع الفلسـطيني الإسرائيـلي، وجوهـره الحسـاس القـدس المحتلـة. في تلـك المعركـة، التـي جـرت وقائعهـا في (21) مـارس (1968) بعـد شـهور قليلـة مـن نكسـة (1967)، تمكنـت جماعـات الفدائيـين مـن إلحـاق هزيمـة مذلـة بالقـوات الإسرائيليـة بمشـاركة بطوليـة مـن الجيـش الأردنى، عندمـا حاولـت احتـلال نهـر الأردن تحـت غطـاء جـوى مكثـف. في تلـك الأيـام البعيـدة إثـر نكسـة يونيـو راهـن «جـمال عبدالنـاصر» عـلى أنـه قـد آن الأوان أن تبـدأ حـرب فدائيـين داخـل الأراضي الفلسـطينية المحتلـة، قـال بالنـص لقائـد «فتـح» «يـاسر عرفـات» عندمـا التقـاه لأول مـرة بترتيـب مـن الأسـتاذ «محمـد حسـنين هيـكل»: «أريـد أن أسـمع طلقـة رصـاص واحـدة كل يـوم داخـل الأراضي المحتلـة».

حرب أكتوبر.. ملحمة عظيمة تفتخر بها الأجيال:

بطـولات وتضحيـات كثـيرة دونـت في سـجلات العسـكرية المصريـة مـن أجـل الحفـاظ عـلى أغـلى بقعـة في أرض الوطـن.. إنهـا «أرض الفـيروز» سـيناء الغاليـة عـلى نفـوس المصريين، بوابـة مـصر الشرقيـة وخـط دفاعهـا الأول عـن أمنهـا واسـتقرارها.. وسـيظل نـصر أكتوبـر المجيـد ملحمـة عظيمـة ورمـزًا خالـدًا تفتخـر بـه الأجيـال، وتجسـيدًا عمليًـا لكفـاءة وعقليـة المصريـين ورفضهـم للانكسـار.

في كل عـام يمـر عـلى نـصر أكتوبـر، تتكشـف أسرار جديـدة مـن كواليـس الحـرب ودروسـها المسـتفادة يرويهـا لنـا أبطـال القـوات المسـلحة الذيـن شـاركوا في ملحمـة العبـور العظيمـة، حيـث سـبق وان التقـت «الأهـرام» المصريـة عـددًا مـن هـؤلاء الأبطـال، الذيـن أكـدوا أن حـرب أكتوبـر أثبتـت قـدرة القـوات المسـلحة المصريـة عـلى فعـل المسـتحيل بمسـاندة الشـعب المـصري العظيـم.

اللواء اللواء جمال كحيلة:

هـو المقاتـل المـصري المعجـزة الحقيقيـة لرغبتـه في النـصر.. يقـول: المصريـون أثبتـوا خـلال الحـرب الجـدارة والاسـتحقاق وتحولـوا مـن مرحلـة اليـأس لمرحلـة الأمـل. فقـد شـارك في حـرب أكتوبـر 73 بالفرقـة 18 مشـاة، هـو اللـواء جـمال الديـن محمـد كحيلـة، الـذى روى

لـ«الأهـرام» بعضـا مـن كواليـس الحـرب ومعركـة تحريـر القنطـرة شرق، مؤكـدًا أن معركـة أكتوبـر مسـتودع وكنـز مـن الإسرار. وشـدد اللـواء «كحيلـة» عـلى ضرورة التعـرف عـلى فـترة مـا قبـل حـرب 1973 كي يفهـم المواطـن يعنـى إيـه نـصر أكتوبـر المجيـد، قائـلًا إن الجيـش المـصري في حـرب67 فرضـت عليـه الهزيمـة وفقـد أسـلحته ومعداتـه وعـاد حزينًـا مكتئبًـا مهزومًـا، وبالتـالي حـزن الشـعب لحـزن جيشـه، وأصيـب في ذاك الوقـت جـمال عبـد النـاصر بمـا أصيـب بـه الجيـش المـصري وقـرر التنحـي عـن حكـم البـلاد، ولكـن الشـعب خـرج يومي 9 و10 يونيـو بعـد المعركـة مبـاشرة وطالبـه أن يظـل في مكانـه وأن يصمـد لأنـه لا خيـار أمـام المصريـين سـوى الصـبر والاسـتعداد. ورفـع عبـد النـاصر شـعار «مـا أخـذ بالقـوة لا يسـترد إلا بالقـوة» وبـاشر بنفسـه الإشراف عـلى إعـادة تنظيـم الجيـش وتسـليحه وتدريبـه عـلى هـذه الإعـادة إلى أن تـوفى في عـام 1970، ثـم جـاء بعـد ذلـك الرئيـس أنـور السـادات، فاسـتمر الجيـش عـلى اسـتعداده وتدريبـه كـما اسـتمر الشـعب المـصري عـلى دعـم الجيـش. فحـرب الاسـتنزاف التـي سـبقت هزيمـة 67 كان فيهـا تدريـب واقعـي للجيـش عـلى الهجـوم عـلى العـدو الإسرائيـلي وفي بدايـة حـرب 73 كانـت القـوات المسـلحة اسـتعادت قوتهـا وأصبحـت جاهـزة لتنفيـذ خطتـه إلى أن الزعيـم أنـور السـادات أمـر الجيـش باقتحـام قنـاة السـويس وتحريـر الـشرق. ففـى يـوم 6 أكتوبـر وبالتحديـد السـاعة الثانيـة ظهـرًا، أخـذت القـوات أوامرهـا بالهبـوط، لافتًـا إلى أن قواتـه عـبرت إلى شرق القنـاة وبـدأت التعامـل مـع العـدو، حيـث كانـت مهمتنـا تأمـين الجانـب الأيـسر لمعركـة القنطـرة شرق، وقـام العـدو بالهجـوم المضـاد عـلى الوحـدات التـي قامـت بالاسـتيلاء عـلى النقـاط العسـكرية في القنطـرة شرق وبدأنـا نتعامـل مـع العـدو، وتمكنـت السريـة مـن تدمـير دبابتـين وعربـة مدرعـة ونجحنـا في صـد العـدو ودحـره حتـى قـام بالانسـحاب شرقًـا بعمـق دفاعاتـه.

بقـد نـوه كحيلـة بـأن أعـمال القتـال اسـتمرت وقـال: قمنـا بتوسـيع رءوس الكبـاري ووصلنـا إلى عمـق 15 كيلومـترا عـلى مشـارف منطقـة بالوظـة ورمانـة وبدأنـا ندافـع بأعـمال دفاعيـة في هـذه المنطقـة، و«يحـضرني في هـذه الموقعـة العظيمـة المقاتـل المـصري الـذى كان المعجـزة والمفاجـأة الحقيقيـة لهـذه الحـرب». فالمقاتـل المـصري الـذى لاحقتـه الهزيمـة منذ 6 أعـوام خـرج مـن عقالـه يـوم 6 أكتوبـر وانطلـق هـذا المـارد واسـتطاع أن يدمـر خـط بارليـف الحصـين، مشـددًا عـلى أن المصريـين أثبتـوا خـلال هـذه الحـرب الجـدارة والاسـتحقاق وأنـه تحـول مـن مرحلـة اليـأس التـي كان فيهـا إلى مرحلـة الأمـل وقـام بتغيـير الواقـع والتاريـخ

وكتب أول هزيمة على الجيش الإسرائيلي يقوم بها جيش عربي. فالإرادة المصرية تحققت في حرب أكتوبر وسقنا الجيش الإسرائيلي إلى السلام رغم عن أنفه وترك الأرض وعاد إلى حدوده، مشددًا على أن الجيش المصري استطاع أن يحقق إرادته ويستعيد كرامته وأرضه وكبرياءه ويفرض السلام على إسرائيل رغما عن أنفها بالقتال. فالفرد هو المعجزة الحقيقية لهذه الحرب بالإرادة ورغبته في النصر وروحه المعنوية العالية التي جعلته يستوعب كافة تقنيات العصر من الأسلحة الحديثة التي زود بها ورغبته الملحة لمحو الهزيمة التي كانت قوية وأن شعار «النصر أو الشهادة» هو شعار حقيقي تمثل في اقتحام قناة السويس وعبورها وتدمير خط بارليف الحصين.

حمدي بخيت: أحد أهداف حرب أكتوبر 73 هو هدم نظرية الأمن الإسرائيلية:

أكد اللواء حمدي بخيت المستشار بأكاديمية ناصر العسكرية، وأحد أبطال حرب أكتوبر المجيدة، أن نصر أكتوبر هو ملحمة عظيمة، مرجعًا نجاح القوات المصرية في أكتوبر 73 إلى إخفاء ميعاد الحرب. وذكر اللواء حمدي بخيت، في تصريح لـ»الأهرام»، أنه شارك في حرب أكتوبر وكان برتبة ملازم وقائدًا لمجموعة استطلاع، حيث قال: كان استعدادنا للحرب من خلال الاهتمام بصيانة المعدات والكفاءة القتالية والحالة النفسية والمعنوية لأفراد الفصيلة». ولفت إلى أن الكثير من المجموعة يحتاج لرفع الروح المعنوية لديهم خصوصا وأنهم شاركوا في حرب اليمن والاستنزاف. و«نحن كعناصر استطلاع شغلنا الميدان العقلي كبير جدًا للنظر في المواقف المعقدة، وأنه في فترة الإعداد كنا ننفذ المهام وسرية الاستطلاع وننفذ تدريبات على المحاور التي سنكون عليها وقت الحرب» موضحًا أنه تعرف على توقيت الحرب في الثانية عشرة ظهرًا. فأحد أهداف حرب أكتوبر 73 هو هدم نظرية الأمن الإسرائيلية، حيث نجحت القوات المصرية في تلقين إسرائيل درسًا مهمًا جدًا هو أن إسرائيل ليس لها ذراع طويلة وقطعت بالدفاع الجوي المصري بكل أبعادها وتم تحطيم هذه النظرية في أكتوبر. فنجاح القوات المصرية في أكتوبر 73 هو إخفاء ميعاد الحرب، فالألم التي ألحقته القوات المسلحة المصرية بالقوات الإسرائيلية كان مؤثر حتى صار هاجسًا على المستوى الإسرائيلي والأمريكي وبأجهزة المخابرات في العالم، متسائلًا كيف يتحقق الإنذار مبكرًا؟،

فالدول التي تحقق الإنذار المبكر تستطيع أن تأخذ المبادرة وتحقق أهدافها، أما الدول التي يغيب فيها الإنذار المبكر يكون رد فعلها متأخرًا، وهو ما حدث في أكتوبر 73 حيث أخذنا المبادرة وحققنا المفاجأة.

اللواء سمير نوح: شاركت في 35 عملية إغارة على مواقع العدو على خط بارليف والكمائن:

أحد أبطال الصاعقة، أن الجيش المصري نجح في حرب أكتوبر 73 في تحقيق أعظم انتصار عسكري على الجيش الإسرائيلي، لافتًا إلى أن القوات المسلحة المصرية أعادت ترتيب صفوفها استعدادًا لمعركة تحرير الوطن بعد نكسة 67. فمجموعته قامت بـ«92» عملية، وأنه شارك في 35 عملية منها عمليات إغارة على مواقع العدو على خط بارليف والكمائن ضد دوريات القوات الإسرائيلية. «لقد قمنا بعمليات زرع الألغام على طرق المواصلات والمدقات داخل عمق سيناء وعمليات الاستطلاع ورصد وتصوير المواقع الإسرائيلية تمهيداً لضربها، كما قمنا في حرب أكتوبر بضرب مستودعات البترول في مناطق بلاعيم وشراتيب وضرب مطار الطور العسكري ومهاجمة مواقع العدو برأس محمد بالقرب من شرم الشيخ، مما أربك العدو وشل تفكيره لوصول القوات المصرية إلى هذه النقطة».

لقد «قمنا بالثأر للشهيد البطل عبد المنعم رياض الذى استشهد يوم 9 مارس 69 وقام إبراهيم الرفاعي بالهجوم على موقع «لسان التمساح 1» 19 أبريل 69 ودمرنا الموقع بالكامل، وتم قتل 44 جنديًا وضابطًا إسرائيليًا، وبعد ثلاثة شهور في 7 يوليو 69 هاجمنا الموقع مرة أخرى ودمرنا الموقع.

اللواء طيار وصفى بشارة: نصر 73 المعركة النهائية من الحرب التي بدأت في 67:

هو بطل من أبطال السرب «49» مقاتلات في حرب أكتوبر 73، شارك في حرب الاستنزاف وأسقط طائرة «فانتوم» في إحدى المعارك، هو اللواء طيار أركان حرب وصفى بشارة قليني، الذى كشف عن بعض من كواليس حرب أكتوبر. «في حرب 73 كنت في قيادة السرب المقاتلات «49» المكلف بحماية المنطقة الجنوبية من الجبهة من السويس حتى الغردقة»، مشيرًا إلى أن حرب 73 هي المعركة النهائية من الحرب

التي بدأت في 67. فالقوات الجوية قامت بعد نكسة 67 بشهرين بضربات جوية على المواقع الإسرائيلية في سيناء وألحقنا بهم خسائر كبيرة منها مواقع الرادار والمطارات الموجودة في سيناء وقمنا بإسقاط طائرات ودارت اشتباكات قوية، وقمنا بضرب كل مراكز الاتصال على الجبهة ثم بعدها الاستعداد للحرب وكما قال الزعيم عبد الناصر «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة»، وفعلًا قمنا باسترداد أرضنا بالقوة. واعتبر أن أصعب فترة هي حرب الاستنزاف 67 حتى حرب أكتوبر 73 لأننا كنا ندرب الجنود مع الدفاع عن الوطن، حيث لم يكن هناك حائط صواريخ «الدفاع الجوي»، وكان هناك عبء كبير على القوات الجوية حيث كانت الأسراب ليل نهار واشتباكات في نفس الوقت. وأشاد بالتعديلات التي أحدثها المهندسون المصريون في الطائرات وكذا الأطقم الأرضية والمهندسون الذين استطاعوا أن يقللوا من مدة تموين الطائرات من 45 دقيقة إلى 10 دقائق.

معركة المنصورة لم تحدث في تاريخ الحروب منذ الحرب العالمية الثانية من حيث الأعداد الضخمة للطائرات واستمرار المعركة لمدة 54 دقيقة فوق مطار المنصورة وإصرار من العدو بإمكاناته على تدميره، حيث قمنا بإسقاط عدد كبير من طائرات العدو وتم تصليح عدد من الطائرات واستمررنا إلى آخر الحرب وذلك بفضل الروح المعنوية وحب البلد.

صائد الدبابات في حرب أكتوبر:

الخبراء الروس أشادوا بالجندي المصري لقوة تركيزه في إصابة الهدف. هو الرقيب إبراهيم السيد عبد العال، كان حكمدار طاقم الصواريخ بالفرقة 16 مشاة ونجح بمفرده في تدمير 18 دبابة فضلًا عن قنصه لمدرعتين، ومنحه الرئيس الراحل السادات وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تقديرًا لأعماله البطولية، ولقب بـ «صائد الدبابات» لإسقاطه العديد من الدبابات، حصل على العديد من الأوسمة منها وسام الجمهورية من الطبقة الأولى وميدالية اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكي، ودرع القوات المسلحة من المشير حسين طنطاوي ودرع الجيش الثاني الميداني، إضافة إلى العديد من شهادات التقدير وميداليات من مختلف الجامعات المصرية وقصور الثقافة.. إنه الرقيب إبراهيم السيد عبد العال صائد الدبابات. وقال: «إنه التحق بالتجنيد عام 1969 بعد حصوله على دبلوم تجارة بالتل الكبير لإدارة المدفعية بألماظة ثم تدرب على قواعد التعليم

الأساسي لمدة 45 يومًا، ونال شرف حكمدارية أحد الأطقم التي كان منها صديقه محمد عبد العاطي صائد الدبابات بالسرية الأولى وكان يجاوره بالسرية الثانية».

إن مهمتنا كانت تأمين قيادة اللواء وجسر شط القناة وتأمين عبور القوات من الغرب إلى الشرق، حيث قمت بتدمير 18 دبابة وعربتين مصفحتين منذ بداية الحرب حتى وقف إطلاق النار، ومنعنا تقدم أكثر من 40 دبابة معادية كان العدو دفع بها في هجوم على الجيش، وكانت أطقم العدو الإسرائيلي، عليها أطقم من القوات الخاصة، وكان هدفهم، اصطياد أطقم قنص الدبابات المصرية، ونجحنا في وقف تقدم اللواء المدرع الإسرائيلي، الذى حاول اختراق خطوط القوات المصرية، وبرهنت قوات المشاة المصرية على أنها قادرة على مواجهة العدو الإسرائيلي فيما هو متاح من إمكانيات ضد العدو الإسرائيلي. ولفت الانتباه إلى إشادة الخبراء الروس بالجندي المصري لقوة تركيزيه في إصابته للهدف بالعربة الإلكترونية لتلغى فكرة تفاخرهم بأنفسهم في أعقاب إقصائهم، فتم التدريب بالذخيرة الحية وكانت كتيبتنا لها القدرة الفائقة في إصابتها للأهداف وتوالت التدريبات للعمليات للصقل المتواصل على الحرب بعدما تم الانتقال للجبهة بعد انضمام الكتيبة للفرقة 16 وتم أخذ وضع الاستعداد القتالي حتى جاءت ساعة العبور. «أتذكر يوم 6 أكتوبر صباحًا وصلت مظاريف مغلقة للقادة وتم التنبيه عليهم بعدم فتحها إلا في تمام الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، عندما فتح القادة المظاريف، عرفنا أن ساعة عبور القناة التي ننتظرها قد جاءت بعبور 220 طائرة عبر عنان السماء لتدمير كل المطارات والمواقع الحصينة للعدو ثم أعقبها 2000 مدفع هوك لدك حصون خط بارليف، معبرًا عن سعادته وشعور لا يوصف عندما كان يقوم بقنص دبابة العدو فكنا نسجد لله شكرًا عقب تدمير كل مدرعة أو دبابة بصيحات «الله أكبر» التي زلزلت الإسرائيليين وقادتهم.

يرى عبد العال أن يوم 9 أكتوبر كان يوم النصر على العدو الذى أوهم العالم بأنه الجيش الذى لا يقهر لأنه استطاع تدمير 7 دبابات في 30 دقيقة، ومن سعادته كان يقول بأعلى صوته: «هل من مزيد؟» طالبا التقدم للأمام مسافة نصف كيلو ولكن الرائد بسيوني رفض قائلًا له: «التزم بالتعليمات العسكرية». وذلك فضلًا عن تدمير صديقه 7 دبابات أخرى لنتلقى التهنئة من الرئيس السادات. ويقول أن القائد الإسرائيلي «شارون» كان هدفه خطفه وقتله بعد أن كبد العدو الإسرائيلي خسائر

في دباباتـه الحديثـة، فأرسـل لـه فرقـة مـن القـوات الخاصـة هاجمـت سريتـه ولكـن اللـه نـصره بنزولـه الخنـدق وحمـل خوزتـه أعـلى سـلاحه وظـل ينظـر إليهـم بخوزتـه ويعتقـدون أنهـا رأسـه حتـى قربـت ذخيرتهـم عـلى النفـاد وعندمـا شـعر عبـد العـال بـأن ذخيرتهـم نفـدت، تظاهـر بـأن إحـدى الطلقـات أصابتـه ومـات، فأسرعـوا إليـه بالخنـدق، فخـرج عليهـم بمشـاركة زملائـه، فتـم قتـل 8 وأسر 8 مـن ضبـاط القـوات الخاصـة الإسرائيليـة. وبـدأ الهجـوم الإسرائيـلي عـلى موقـع الكتيبـة يـوم 14 أكتوبـر في محاولـة الاخـتراق والوصـول للقنـاة، واسـتمرت المعركـة أكـثر مـن 14 سـاعة، تـم خلالهـا تدمـير 27 دبابـة، وتكبـد العـدو الإسرائيـلي خسـائر فادحـة وكبـيرة، وكانـت مـن إحـدى المعـارك الفاصلـة في الحـرب. واعتـبر حـرب أكتوبـر أبـرز دليـل عـلى صلابـة وقـوة الجنـدي المـصري الـذي قهـر المسـتحيل بـكل المقاييـس الإسـتراتيجية والعسـكرية.

لا ينـسى قائـد سريتـه «المقـدم عبـد الجابـر أحمـد» وكتيبتـه «المقـدم محمـد حسـين طنطـاوي» وزيـر الدفـاع الأسـبق، والعميـد «عبـد رب النبـي حافـظ» قائـد الفرقـة 16 مشـاة. وعـن ذكرياتـه بشـأن معركـة المزرعـة الصينيـة، قـال عبـد العـال: «بـدأ الهجـوم الإسرائيـلي عـلى موقـع الكتيبـة يـوم 14 أكتوبـر فى محاولـة لاختراقهـا والوصـول للقنـاة واسـتمرت المعركـة أكـثر مـن 14 سـاعة، تـم خلالهـا تدمـير 27 دبابـة وتكبـد العـدو خسـائر فادحـة وكانـت مـن أحـد المعـارك الفاصلـة في حـرب أكتوبـر 73 حيـث شـعر العـدو بالرعـب مـن بسـالة الجنـدي المـصري».

في النهايـة علينـا أن نعـترف أن حـرب أكتوبـر لم تكـن مجـرد حـرب حالفنـا فيهـا النـصر ولكنهـا كانـت عزيمـة وإرادة ودروس للأجيـال بـأن العـرق والجهـد والإصرار سـيتحصل لـه النجـاح وإن تأخـر لبعـض الوقـت... هـل لنـا أن نعيـش أكتوبـر مـن جديـد ونتعلـم كيـف تحـول الهزيمـة والانتكاسـة إلى نـصر...

كواليس بيان حرب أكتوبر:

"هنا القاهرة.. جاءنا البيان التالي"[1]

كلمات خلدها التاريخ.. "هنا القاهرة.. جاءنا البيان التالي".. بصوت كبار مذيعيها، ووفقًا لجدولهم المعتاد دون تغيير، كانت الاذاعة المصرية على موعد مع أعظم بيانات في التاريخ، بيانات العبور والنصر. ذلك يوم السادس من أكتوبر 1973، عندما التف المصريون حول أثير البرنامج العام، الذي بدأ يبث في الثانية والربع المارش العسكري الشهير، والبيان الأول الذي كان في إطار خطة الخداع الاستراتيجي وبصوت الإعلامي الشهير حلمي البُلك. كان نصه كالتالي:

«هنا القاهرة.. جاءنا الآن البيان التالي من القيادة العامة للقوات المسلحة: قام العدو في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم، بمهاجمة قواتنا في منطقتي الزعفرانة والسخنة في خليج السويس، بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض من زوارقه البحرية تقترب من الساحل الغربي من الخليج، وتقوم قواتنا حاليًا بالتصدي للقوات المغيرة».

فيما جاء البيان الثاني في تمام الساعة 2.35 بصوت يحيي عبد الحليم، بتحرك قواتنا الجوية كالتالي:

«هنا القاهرة.. جاءنا الآن البيان التالي من القيادة العامة للقوات المسلحة: بيان رقم إتنين.. ردًا على العدوان الغادر الذي قام به العدو ضد قواتنا، تقوم حاليًا بعض من تشكيلاتنا الجوية بقصف قواعد وأهدافه العسكرية في الأراضي المحتلة».

وفي تمام الثالثة عصرًا، تلي حلمي البلك، البيان الثالث يبرز نجاح مهام القوات الجوية كالتالي:

«هنا القاهرة.. جاءنا الآن من القيادة العامة للقوات المسلحة البيان التالي: الحاقًا للبيان رقم اتنين.. نفذت قواتنا الجوية مهامها بنجاح، وأصابت مواقع العدو بإصابات مباشرة، وعادت جميع طائراتنا إلى قواعدها سالمة عدا طائرة واحدة.. هنا القاهرة».

وجاء البيان الرابع في الثالثة والنصف بصوت يحيي عبد العليم، مشيرًا إلى الاشتباكات بين القوات البرية بالضفة الشرقية للقناة كالتالي:

«هنا القاهرة.. جاءنا الآن من القيادة العامة للقوات المسلحة البيان التالي:

(1) كواليس بيان حرب أكتوبر: "هنا القاهرة.. جاءنا البيان التالي"، رأي اليوم اللندنية، أكتوبر 2021. https://www.raialyoum.com

البيان رقم أربعة.. حاولت قوات معادية الاستيلاء على جزء من أراضينا غرب القناة وقد تصدت لها قواتنا البرية وقامت بهجوم ناجح ضدها بعد قصفات مركزة من مدفعيتنا على النقاط القوية المعادية، ثم قامت بعض من قواتنا باقتحام قناة السويس ومطاردة العدو إلى الضفة الشرقية في بعض مناطقها ولازال الاشتباك مستمرًا على الضفة الشرقية لقناة السويس.. هنا القاهرة».

ثم جاء البيان الخامس، بيان العبور والذي يعد الإعلان الأول لرد الكرامة وطريق النصر بصوت استثنائي لحلمي البُلك في الخامسة مساء ليقول أغلى كلمات سمعها المصريون: « هنا القاهرة.. جاءنا الآن من القيادة العامة للقوات المسلحة البيان التالي: نجحت قواتنا في اقتحام قناة السويس في قطاعات عديدة، واستولت على نقاط العدو القوية بها، ورفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة.. هنا القاهرة».

قصة أول بيان عن الحرب:

البدايات كانت مع مندوب رفيع المستوى من وزارة الدفاع إلى مقر الإذاعة المصرية حمل خطابًا مهمًا كتب عليه «سرى للغاية».. وحيث لم يكن هناك وسيلة إعلامية، تنقل أحداث حرب أكتوبر المجيدة، بشكل تفصيلي في ١٩٧٣، إلا الإذاعة المصرية، وشكلت الإذاعة وجدان الشعب المصري في ذلك الحين بشكل كبير، واتجه جميع المواطنين لهذه الوسيلة من أجل معرفة ما يجري، ولن ينسى أحد الدور الذى لعبته الإذاعة في هذه الملحمة التاريخية.

بيان شهير شهدته جدران الإذاعة أثناء الحرب، وهو البيان الذى ألقاه المذيع الشهير «صبري سلامة»، وبدأ حديثه بـ: «هنا القاهرة»، وتبدأ قصة هذا البيان في الساعة الواحدة من ظهر السادس من أكتوبر، حيث توجه مندوب رفيع المستوى من وزارة الدفاع إلى مقر الإذاعة المصرية، حيث كان يحمل خطابًا مهمًا كتب عليه «سرى للغاية».

كان الخطاب هو أول بيان تمت إذاعته في الثانية وعشر دقائق بعد انطلاق الضربة الجوية بخمس دقائق. ولم يعرف أحد من الحضور سواء كان رئيس الإذاعة "بابا شارو" ومدير الإذاعة أو المذيعين ولا المخرجين شيئًا عن محتوى الخطاب، لكنهم عرفوا أن هناك أمرًا مهمًا وخطيرًا على وشك الحدوث. وانتظر المندوب على أحر من الجمر وصول الأمر، والدقائق تمر عليه وكأنها ساعات، وهو ممسك بالخطاب

المغلـق الـذى لا يعـرف محتـواه حتـى صـبري سـلامة المذيـع الـذي سـيلقي البيـان بصوتـه، وبعـد أن عـبرت القـوات الجويـة بـ٢٢٠ طائـرة بموجـة كاسـحة لـ«شـط» القنـاة في تمـام الثانيـة وخمـس دقائـق، تلقـى الرجـل اتصـالًا مـن اللـواء حسـن الجريـدلي مـن داخـل غرفـة عمليـات القـوات المسـلحة حامـلًا الإذن بإذاعـة البيـان.

كان اللـواء الجريـدلي، يشـغل منصـب سـكرتير عـام وزارة الدفـاع، وبعـد الاتصـال انفرجـت أسـارير المنـدوب، وسـلم البيـان لرئيـس الإذاعـة، واشـترط أن يسـلمه لـه داخـل الاسـتوديو، وكان الدكتـور عبـد القـادر حاتـم، وزيـر الإعـلام، يتابـع الموقـف هاتفيًـا حتـى لا يكشـف تواجـده الموقـف. وكان هـذا هـو بيـان الضربـة الجويـة. ومـع دقـات السـاعة الرابعـة عـصرًا، والـكل يترقـب مـا يحـدث عـلى الجبهـة، وينطلـق صـوت حلمـي البلـك ليلقى البيـان الخامـس الشـهير، الـذى حمـل نبـأ العبـور العظيـم، واقتحـام خـط بارليـف، وقـال «البلـك»: «هنـا القاهـرة.. جاءنـا الآن البيـان الخامـس، نجحـت قواتنـا المسـلحة في اقتحـام قنـاة السـويس في قطاعـات عـدة، واسـتولت عـلى نقـط العـدو القويـة بهـا ورفـع علـم مـصر عـلى الضفـة الشرقيـة للقنـاة، كـما قامـت القـوات المسـلحة السـورية باقتحـام مواقـع العـدو في مواجهتهـا وحققـت نجاحًـا مماثـلًا في قطاعـات مختلفـة». وفى هـذه اللحظـة لم ينتظـر الشـعب المـصري وخـرج إلى الشـوارع يحمـل الأعـلام المصريـة، معـبرًا عـن سـعادته بالنـصر وامتنانـه للقـوات المسـلحة والرئيـس السـادات بعـودة الكرامـة والعـزة لمـصر وشـعبها.

يذكـر أيضًـا أن ٨ بيانـات قـد صـدرت مـن القـوات المسـلحة المصريـة مـن أصـل ٦٤ بيانًـا، وتمـت إذاعتهـا عـبر أثـير الإذاعـة المصريـة، ليـوم السـبت 6 أكتوبـر 1973، الموافـق 10 رمضـان عـام 1393.

في هـذه الفـترة أيضًـا تواجـد عـدد كبـير مـن الفنانـين داخـل الإذاعـة لتنفيـذ أغنيـات لهـذا الحـدث، وقامـوا بالفعـل بصناعـة أغنيـات مـا زالـت هـي التـي تـذاع إلى وقتنـا هـذا في ذكـرى حـرب أكتوبـر، وهـو مـا رواه الإعلامـي حمـدي الكنيـسي المراسـل الحـربى للإذاعـة المصريـة في حـرب أكتوبـر 1973 في أحـد الحـوارات قائـلًا: «إن الـدور الإعلامـي وتوعيـة المواطنـين خـلال حـرب أكتوبـر كان يعتمـد عـلى البيانـات العسـكرية الدقيقـة دون أي مبالغـات، وأيضًـا اسـتثمار القـوة الناعمـة المصريـة مـن خـلال الأفـلام والمسلسـلات والأغـاني»، مضيفًـا أنـه كان هنـاك عـدد مـن الفنانـين متواجديـن ليـل نهـار بهـذه الفـترة لعمـل أغنيـات للحـرب، ومنهـم الفنـان عبـد الحليـم حافـظ وبليـغ حمـدي وأحمـد فـؤاد حسـن وفرقتـه، وكلهـم كانـوا متطوعـين، ولا يتقاضـون أجـورًا.

ثلاثة مذيعين ذكرهم التاريخ.. بسبب إذاعة بيان النصر:

لقد ظل صوت صبري سلامة وحلمي البُلك علامات مميزة لأذن المستمع، وارتبط بهما الشعب المصري والعربي، اشتهر صبري سلامة بأعماله الأدبية الخاصة، وأعد الجزء الخامس «محمد رسول الله» ومسلسل تلفزيوني (60 حلقة) بعنوان «على باب زويلة» ومسلسل تلفزيوني (30 حلقة) بعنوان «ابن عروس» فضلاً عن سهرات عن «رابعة العدوية». إلى جانب برنامجه الشهير «على الماشي» الذي ظل لسنوات طويلة، وبرنامج «قطوف الأدب من كلام العرب». نشأ صبري سلامة في مدينة السويس، وكان والده من علماء الأزهر، انتقل إلى القاهرة، ثم التحق بكلية الحقوق (جامعة فؤاد الأول) فتخرج فيها عام 1952. عمل مدرسًا، ثم انضم إلى الإذاعة المصرية (١٩٥٧) وظل يتدرج من وظيفة مذيع، حتى أحيل إلى التقاعد (1990)، مديرًا لمعهد تدريب المذيعين بالإذاعة والتلفزيون، كان عضوًا باتحاد الكتاب، وعضوًا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضوًا بالمجالس القومية المتخصصة.

أما حلمي البلك فالتحق بالإذاعة عام 1958 محرراً ومذيعاً لنشرات الأخبار بإذاعة صوت العرب وعمل مراسلاً إذاعياً لكافة الدول العربية وبعد سنوات كان نائباً لمدير إذاعة صوت العرب وقام بعمل وطني جليل خلال حرب 1967، حيث قام بالاتفاق مع السلطات بتوجيه رسائل شفوية للفدائيين داخل الأراضي المحتلة عن طريق برنامج (الشعب في سيناء) وفى عام 1971 تولى إدارة صوت العرب وبجانب عمله التحق بالتلفزيون المصري نظراً لكفاءته وأيضاً في عام 1971 اختير عضواً بالمجلس الشعبي لمحافظة سيناء وواصل رسالته الوطنية من خلال برنامج (الشعب في سيناء) حتى تحقق النصر في أكتوبر عام 1973 وفي عام 1985 تم تعيينه نائباً لرئيس شبكة صوت العرب وفي عام 1987 تولى رئاستها وفي عام 1991 كان نائباً لرئيس قطاع الإذاعة وفي الثامن من شهر نوفمبر عام 1991 تولى رئاسة الإذاعة المصرية واستمر حتى وصوله إلى سن المعاش القانوني عام 1995 وفي نفس العام اختير مستشاراً بمجلس الشعب عام 1995.

يبقى أنه كان للتليفزيون المصري دور كبير بجوار الإذاعة المصرية في مساندة القوات المسلحة وحربها على العدو، وبث بيانات نصر أكتوبر التي أذاعها الإعلامي أحمد سمير ليكتب اسمه في تاريخ النصر.

بـدأ أحمـد سـمير حياتـه العمليـة محاسـباً في الإعلانـات بمؤسسـة دار التحريـر للطبـع والنـشر عـام 1961 بعدمـا انضـم لعضويـة المـسرح الحديـث وفـرق التليفزيـون المسرحيـة، وشـارك في مسرحيـة الزلـزال، المصـير، المصيـدة، وكتـب عـدداً مـن الأعـمال الفنيـة، معركـة النقيـب ناديـة، الهجـرة إلى المجهـول، الحناكيـش، اللعيبـة، البقيـة لا تـأتى، وكتـب 3 أفـلام سـينمائية منهـا: لـن يضيـع العمـر. عـصر الضحايـا، انتقـل إلى التليفزيـون المـصري، اشـتهر بقراءتـه لنـشرة الأخبـار وشـغل منصـب كبـير المذيعـين، ونائـب رئيـس القنـاة الأولى ثـم رئيسـها، وأشرف عـلى ليـالي التليفزيـون. قـدم برامـج بـارزة، مثـل لقـاء كل يـوم، وواجهـة الحقيقـة. وأضـواء عـلى الأحـداث. طـوف وشـوف. المجلـة السـياحية. السـينما والحـرب. نهايـة الأسـبوع.

كـوادر الإذاعـة المصريـة أثنـاء الحـرب: "صـراع فـي حـب الوطـن.. تعليمـات بالمصداقيـة والهـدوء":

لا أحـد يعلـم مـا يحـدث خلـف الميكروفونـات، وداخـل الغرف الـذي لم يتسـن للكثيرين الاطـلاع عليهـا، رغـم جذبهـا آذان الملايـين، خرجـت البيانـات الأولى لحـرب أكتوبـر المجيـدة، لتخطـف قلـوب المصريـين وانتبـاه العـالم أجمـع بأصـوات الإذاعيـين يحيـى عبدالعليـم والبُلـك، وصـبري سـلامة، لتسـجل ملحمـة العبـور.

قبـل سـنوات، بـدأت التحضـيرات الأولى لحـرب أكتوبـر بالإذاعـة والتلفزيـون مـن خـلال اجتـماع الرئيـس الأسـبق محمـد أنـور السـادات مـع الدكتـور عبدالقـادر حاتـم وزيـر الإعـلام حينهـا، ووجـه الرئيـس خلالـه، بالتـزام الإعـلام المـصري بالموضوعيـة والمصداقيـة والأداء بشـكل متـوازن. وعـدم الوقـوع في الأسـلوب الحـماسي أو التهويـل أو التهويـن، مثلـما حـدث في تغطيـة نكسـة 1967، وهـو مـا نقلـه الوزيـر إلى رئيـس الإذاعـة محمـد محمـود شـعبان "بابـا شـارو" وقتهـا، وفقـا لعبـد الرحمـن رشـاد رئيـس الإذاعـة الأسـبق وعضـو الهيئـة الوطنيـة للإعـلام.

شهادات الإذاعيين المصريين عن يوم السادس من أكتوبر

صالح مهران:

يُعـد صالـح مهـران أحـد الأصـوات الإذاعيـة المعـدودة التـي عرفهـا الشـارع المـصري في فـترة توهـج الإذاعـة واعتـماد المصريـين عـلى الراديـو كمصـدر رئيـسي في نقـل ومعرفـة

الأخبار في حقبة الرئيس جمال عبد الناصر وأوائل عهد الرئيس محمد أنور السادات. بدأ صالح مهران حياته العملية كمقدم للنشرة، حيث زامل الإذاعي القدير فاروق شوشة في أول نشرة قدمها في رمضان عام 1962، ومنها تدرج في المناصب داخل الإذاعة إلى أن تولى غدارة التخطيط الموسيقي والغنائي عام 1991 وكانت من أهم الإدارت التي تقوم عليها الإذاعة آنذاك.

من المواقف الخالدة في تاريخ صالح مهران: "تم رفع العلم المصري على الضفة الشرقية للقناة" كلمات انطلقت عبر أثير الراديو بصوت صالح مهران عام 1973 أثناء حرب أكتوبر المجيدة تبعتها فرحة عارمة في كل أرجاء مصر. خبر البُشرى بالانتصار في حرب أكتوبر وعبور القناة دوى في مسامع وأرجاء المحروسة بصوت صالح مهران، وكتب تاريخًا جديدًا لمصر، حيث كان شرفًا عظيمًا للإذاعي الراحل وموقف خالد في مسيرته العملية.

مهران كان ضمن الإذاعيين الذين تقرر استدعاؤهم صباح السبت 10 رمضان، الموافق 6 أكتوبر 1973، لقراءة بيانات بدء الهجوم، وأحد القلائل الذين علموا بموعد الحرب قبلها بساعات، حيث تم اطلاعهم على خطة التحركات والاستعدادات لقراءة البيانات العسكرية.

هو الإذاعي الرائد لـ"الوطن": كل البيانات الحربية كانت تُذاع على الهواء مباشرة.. وفي "الثمانينات" تقرر تسجيلها أولاً قبل إذاعتها.. وهنا يحكي مهران، عن كواليس يوم العبور، وردود الفعل في الإذاعة والشارع المصري، وحالة الخوف والذعر التي انتابت المصريين بعد قراءة البيان الأول الساعة الثانية والثلث ظهراً، على خلفية الذكرى الأليمة لنكسة 67، حين زف الإعلام أخباراً كاذبة عن الانتصار المصري على العدو الصهيوني، كما يكشف كواليس علاقة 3 رؤساء لمصر بالإعلام، وبساطة «عبدالناصر»، وتدخل «السادات» في كل تفاصيل العمل الإعلامي.

يقول مهران أنه تم استدعائي وعدد آخر من المذيعين لحضور الاجتماع الصباحي نحو الساعة العاشرة، رغم أن موعد عملي يومها كان في الخامسة مساء، ولكن أبلغنا رئيس الإذاعة وقتها محمد محمود شعبان أن حرب التحرير ستكون في الثانية ظهر هذا اليوم، وأطلعنا على خطة التحركات، وكان معنا البيان الأول منذ الواحدة ظهراً، وكان مقرراً إذاعته بالتزامن مع بدء الضربة الأولى، ولكن حدث تعديل، فتقرر قراءة

البيـان الأول في السـاعة الثانيـة والثلـث، والحقيقـة أن ذلـك أوقـع. كان الجميـع في حالـة نشـوة أثنـاء قـراءة البيـان، وكنـا أشـبه بمـن يـزف للمصريـين والعـالم العـربي أخبـاراً مُفرحـة، ورأينـا أعـداداً كبـيرة مـن القـوات المسـلحة تتجـه إلى سـيناء، وفي مسـاء اليـوم نفسـه، بدأنـا نسـمع بعـض المرادفـات الجديـدة علينـا مثـل «رؤوس الكبـاري»، خاصـة أن آثـار النكسـة كانـت موجعـة عـلى الشـعب المـصري، وكنـا في حالـة إذلال، ونشـعر بهـذه الحالـة أكـثر في مجـال الإعـلام لأننـا سـاهمنا في صنـع الأسـطورة، وجيلنـا الـذي نشـأ عـلى درجـة مـن الوعـي لمـا حـدث عقـب 1952، مقارنـة بمـا قبلهـا، فبعـد يوليـو كنـا نـردد «ارفـع رأسـك يـا أخـي، فقـد مـضى عهـد الاسـتعباد»، وشـعرنا بـروح التحـرر، و«الجـلاء ولـو بالدمـاء»، وأثنـاء العـدوان الثـلاثي عـام 56، كان الشـباب يذهبـون لمنطقـة القنـاة لتحريـر مـصر، وكنـا البدايـة لتحريـر الأمـة العربيـة والبلـدان الأفريقيـة، ثـم وُضعـت القوانين، ومبادئ الاشـتراكية، وعشـنا فـترة أحـلام القوميـة العربيـة، وكنـا في قمـة الشـعور بالزهـو. مـصر كانـت زعيمـة مـن زعـماء العـالم، وكان بـه ثـلاث زعامـات وقتهـا: مـصر والهنـد ويوغسـلافيا، وشـكلوا مجموعـة «عـدم الانحيـاز» بعـد مؤتمـر باندونـج 1955، فمـصر كانـت أشـبه بـ«كعبـة» تـأتي إليهـا الوفـود والزعامـات أسـبوعياً، وكل هـذا انطفـأ فجـأة في يونيـو 1967، وأُصبنـا جميعـاً بحالـة مرضيـة، وإحسـاس بالمـرارة والـذل.

الإذاعـي عبدالوهـاب محمـود قـرأ بيـان الحـرب باعتبـاره مذيـع فـترة الضحـى، فـكل مذيـع التـزم بقـراءة البيانـات أثنـاء فـترة عملـه، ويذكـر مهـران مـن نصـوص بيانـات الإذاعـة في هـذا اليـوم: «نجحـت قواتنـا المسـلحة في عبـور قنـاة السـويس عـلى طـول المواجهـة، وتـم الاسـتيلاء عـلى منطقـة الشـاطئ الشرقـي للقنـاة، وتواصـل قواتنـا حاليـاً قتالهـا مـع العـدو بنجـاح، كـما قامـت قواتنـا البحريـة بحمايـة الجانـب الأيـسر لقواتنـا عـلى سـاحل البحـر الأبيـض المتوسـط، وضربـت الأهـداف المهمـة للعـدو عـلى السـاحل الشـمالى لسـيناء، وأصابتهـا إصابـات مبـاشرة، ونجحـت قواتنـا المسـلحة في اقتحـام وعبـور قنـاة السـويس في قطاعـات عديـدة بهـا، ورفـع علـم مـصر عـلى الضفـة الشرقيـة للقنـاة». ويحـكي مهـران وقـول أقمنـا في الإذاعـة مـن "10 رمضـان" حتـى قـرار وقـف إطـلاق النـار والمبنـى كان أشـبه بخليـة عمـل تضـم مطربـين وشـعراء. والنـاس لم تصـدق، والشـوارع كانـت شـبه مُظلمـة، وفُرضـت حالـة طـوارئ، والمعظـم غلبـت عليـه مشـاعر الخـوف، ويذكـر أنـه مـر عـلى مديـرة البرامـج بالإذاعـة في هـذا اليـوم، ولم تكـن اسـتوعبت حجـم النـصر، فقالـت لي: «الراجـل ده

مجنـون.. هيـودي البلـد في داهيـة»، وكانـت تقصـد السـادات. وهـذا كان طبيعياً بعـد مـا حـدث في 67. ولكـن بعـد بـث أفـلام وثائقيـة مـن سـيناء، وإذاعـة الأغـاني الوطنيـة في الراديـو والتليفزيـون، مثـل «صبـاح الخـير يـا سـينا»، وشـاركت وردة بالغنـاء وغيرهـا، كـما تحـدّث الرئيـس السـادات عـن العبـور في مجلـس الأمـة يـوم 16 أكتوبـر 73. هنـا شـعر المواطـن بحجـم النـصر. وفـارق صالـح مهـران الحيـاة اليـوم، الثلاثـاء 9 فبرايـر 2021، عـن عمـر ناهـز 84 عامًـا بعـد صراع مـع المـرض. وولـد مهـران في 5 سـبتمبر عـام 1937 في منطقـة الزيتـون بالقاهـرة.

حمدي الكنيسي:

الإذاعـي حمـدي الكنيـسي فهـو أشـهر مراسـل حـربي أثنـاء حـرب أكتوبـر وقـد انضـم إلى العمـل مراسـلاً حربيـاً في اليـوم الثـاني للحـرب مبـاشرة وسـجل وسـط المقاتلـين. وقـد سـجل الكنيـسي مشـاهداته عـن المعركـة في ثلاثـة كتـب جـاء الأول بعنـوان «اليـوم السـابع» وقـال سـبب هـذه التسـمية أن الإسرائيليـين قالـوا للعـالم إنهـم هزمـوا المصريـين والعـرب في سـتة أيـام فـكان هـذا الكتـاب رداً عليهـم بـأن هنـاك يـوم سـابعاً وهـو يـوم السـادس مـن أكتوبـر ثـم «الطوفـان» و«الحـرب طريـق السـلام» بالإضافـة إلى برنامـج «صـوت المعركـة» الـذي لاقـى نجاحـاً كبـيراً عنـد المصريـين والعـرب ووصـل نجاحـه هـذا إلى إسرائيـل.

نعـم يبقـى حمـدي الكنيـسي شـاهدًا عـلى النـصر وتألـق الإذاعـة المصريـة.. زلـزل صـدور الأعـداء في حـرب أكتوبـر بـ"صـوت المعركـة ويوميـات مراسـل حـربي".. حصـل عـلى أول عضويـة بنقابـة الإعلاميـين بعـد تحقيـق حلمـه.. وهـذه أبـرز المناصـب التـي تقلدهـا.

لقـد عـرف بكونـه أحـد أشـهر مراسـلي مـصر الحربيـين للإذاعـة أثنـاء حـرب أكتوبـر، الذيـن لعبـوا دورًا بـارزًا في رفـع الـروح المعنويـة للجنـود خـلال الحـرب وسـطروا بحـروف مـن نـور البطـولات التـي قـام بهـا الجنـود عـلى الجبهـة، إنـه الإعلامـي حمـدي الكنيـسي رئيـس الإذاعـة الأسـبق، الـذى ولـد في 19 مـارس 1941م بقريـة شـبرا النملـة مركـز طنطـا محافظـة الغربيـة، بـدأ حياتـه العمليـة مدرسًـا للغـة الإنجليزيـة بالتعليـم الثانـوي، حتـى التحـق بالإذاعـة المصريـة وعـين مذيعًـا "قـارئ نـشرة" بالبرنامـج العـام عـام 1963. تـولى منصـب رئيـس قطـاع الإذاعـة في الفـترة مـن 1 أكتوبـر 1997 وحتـى 18 مـارس 2001 حتـى بلوغـه سـن التقاعـد، وكان مـن أشـهر البرامـج التـي عـرف بهـا برنامـج صـوت المعركـة وبرنامـج يوميـات مراسـل حـربى وذلـك خـلال الحـرب، عمـل خبـيراً دوليـاً لـدى اليونسـكو

مـن 1975 وحتـى 1978 وتـم اختيـاره مستشـارًا إعلاميًـا لمـصر في لنـدن ونيودلهـي 1980 – 1985، وأمـين عـام مهرجـان القاهـرة للإذاعـة والتليفزيـون الـذى تغـير اسـمه فيـما بعـد إلى مهرجـان القاهـرة للإعـلام العـربي 1997 – 2001.

يعـد حمـدى الكنيـسى المذيـع الوحيـد الـذى كان لـه برنامجين خـلال فترة حـرب أكتوبر وهـما "صـوت المعركـة ويوميـات مراسـل حـربي"، الـذى كان يبـث فيهـما مـا كان يسـجله مـن لقـاءات مـع الجنـود عـلى الجبهـة، و بعـد أيـام مـن حـرب أكتوبـر، شـكلت إسرائيـل لجنـة لبحـث أسـباب هزيمـة الجيـش الإسرائيـلي، وكانـت منبثقـة منهـا لجنـة أخـرى لبحـث أسـباب انتشـار برنامـج "صـوت المعركـة"، بـين الإسرائيليـين المتحدثـين بالعربيـة والفلسـطينيين، وعلـم الرئيـس الراحـل محمـد أنـور السـادات بهـذه اللجنـة، وهـو مـا أكـده الإعلامـي حمـدي الكنيـسي في حواراتـه الصحفيـة قائـلا:" اتصـل السـادات بوزيـر الإعـلام وقتهـا الدكتـور جـمال العطيفـي، وقـال لـه حرفيـاً، "عايـز أعـرف حمـدي الكنيـسي بيكـرم ولا لأ.. دا قالـب دمـاغ إسرائيـل"، وهنـا طلبنـي وزيـر الإعـلام وعنـد لقائـه قـال لي إنـه سـيكرمني ليـس لطلـب الرئيـس، ولكـن لأنـك كادر سـياسي هائـل، وأنـا هرقيـك ترقيتـين، ولكنـي رفضـت الترقيـة قائـلًا، "لا تخـدش العلاقـة بينـي وبـين هـذا الـدور الوطنـي"، وطلبـت أن يتـم إنشـاء نقابـة للإعلاميـين ووعـدني ببحـث الأمـر لكنـه خـرج في تعديـل وزاري ونسـينا الموضـوع". وظـل حلـم إنشـاء نقابـة للإعلاميـين يـراود الكنيـسي، حتـى تحقـق هـذا الحلـم عـام 2016 وصـدر قـرار مـن رئيـس مجلـس الـوزراء بتشـكيل اللجنـة التأسيسـية برئاسـته، وصـار الكنيـسي رئيسًـا للجنـة التأسيسـية لنقابـة الإعلاميـين وحصـل عـلى أول عضويـة بالنقابـة.

يبقـى اسـم الإعلامـي حمـدي الكنيـسي يظل خالـداً بتاريخـه الزاخر بالكثير مـن الإبداع الوطنـي الـذى صنـع اسـماً إذاعيـاً ضخـماً دائـم العطـاء متعـدد الإبـداع متجـدد الفكـر، مضيفـا :"فلـم يتـولى مهمـة إلا وكان النجـاح حليفـه بفضـل إصراره وموهبتـه الفطريـة، سـواء كمذيـع قـدم عـدد مـن أهـم البرامـج الاذاعيـة التـي لا ينسـاها المسـتمعون مثـل قصاقيـص وتليفـون وميكروفـون و200 مليـون، والمجلـة الثقافيـة، أو مراسـلاً حربيًـا كان يقـدم عـبر الإذاعـة لوحـة مسـموعة حـول معركـة الكرامـة التـي أرخ لهـا عـبر برنامجـه الخالـد "صـوت المعركـة"، أو رئيسًـا لشـبكة صـوت العـرب سـاهم في تغيـير مفهومهـا ورسـالتها بمـا يتوائـم مـع ظـروف المرحلـة والأحـداث وقتهـا، أو رئيسًـا للإذاعـة حفلـت فترتـه بالعديـد مـن خطـط التطويـر والبرامـج المتنوعـة".

كذلـك يعـد الكنيـسي مـن القلائـل الذيـن تقلـدوا كل المناصـب القياديـة في الإذاعـة تقريبـاً، بسـبب كفاءتـه الإداريـة ورؤيتـه وافـكاره المتجـددة، ولم يكـن إبداعـه قـاصراً عـلى عملـه الإذاعـي بـل كان شـخصية عامـة متعـدد القـدرات يحظـى باحـترام الجميـع، سياسـيون ووزراء ومفكـرون ورياضيـون، فمنـذ أن كان الكنيـسي شـاباً اذاعيـاً كان يعتـبر النقابـة حقـاً لـكل إعلامـي لا يمكـن التنـازل عنـه.

عبدالرحمن رشاد:

بينـما كان يبـدأ "عبدالرحمـن رشـاد" رحلتـه في الإذاعـة، كان شـاهدًا عـلى أحـداث حرب أكتوبـر، موضحًـا أنـه كان مـن بـين الاسـتعداد لحـرب أكتوبـر، هـو التحضـير الإعلامـي لتفادي الأخطـاء التـي وقعـت في حـرب يونيـو 1967، لذلـك بعـد اجتـماع السـادات وحاتـم، جمـع "بابـا شـارو" الإذاعيـين ليلـة الحـرب.

ونقـل لهـم التوجيهـات الخاصـة بالتغطيـة، بجانـب التأكيـد عـلى الالتـزام بالتعليـمات الصـادرة للقـوات المسـلحة، والأداء الموضوعـي الـذي يهتـم بالحقائـق القادمـة مـن ميـدان القتـال والمصداقيـة والموضوعيـة وعـدم التهويـل أو التهويـن، لذلـك تمكـن مـن تـلافي أخطـاء النكسـة، وكان مصـدر الأخبـار للصحـف العالميـة لالتزامـه بالمهنيـة والموضوعيـة والابتعـاد عـن الحـماس الزائـد والأداء بشـكل متـوازن.

أضـاف "رشـاد"، أن الإذاعـة المصريـة منـذ النكسـة، كانـت تلعـب دورًا مهـما في إعـداد الجبهـة الداخليـة للحـرب مـن خـلال برامجهـا، فـكان هنـاك عـدد مـن المراسـلين الحربيـين عـلى جبهـة القتـال مسـئولين عـن نقـل مـا يحـدث إلى الداخـل المـصري، وأيضـا خـلال حـرب الاسـتنزاف، منهـم الإذاعيـين حمـدي الكنيـسي وأحمـد أبـو السـعود. وأشـار إلى أن البرامـج كانـت أيضـا تهـدف لتهيئـة المواطنـين نفسـيًا ومعنويًـا لتلـك الملحمـة بالمشـاركة أو ليكونـوا الظهـير لتحريـر الأرض والعبـور، ومواكبـة مـا يحـدث بالجبهـة.

لقـد لعبـت الإذاعـة المصريـة دوراً كبـيراً عندمـا أنتجـت كلـمات وطنيـة عديـدة، وقامـت بتغطيـة أجـواء الانتصـارات بشـكل مـا زلنـا نتذكـره ونعيـش شـعور الفرحـة والنـصر حتـى الآن ولا ننـسى كـم الكلـمات الوطنيـة التـي أنتجـت خـلال هـذه الفـترة احتفـالاً بالنصر منهـا «بسـم اللـه.. اللـه أكـبر» التـي ارتبطـت بذكـرى الحـرب التـي غنتهـا مجموعـة مـن مطـربي الإذاعـة أثنـاء الحـرب كتبهـا ولحنهـا بليـغ حمـدي وأيضـاً أغنيـة «صبـاح الخـير يـا سـينا» كتبهـا عبدالرحمـن الأبنـودي ولحنهـا كـمال الطويـل ولم تكـن هـذه الأغنيـة هـي

الوحيدة.. فحضرت «عاش اللي قال» للشاعر محمد حمزة ولحنها بليغ حمدي وأغنية «لفّي البلاد يا صبية» كتبها محسن الخياط ولحنها محمد الموجي وأغنية «على الربابة» من كلمات عبدالرحيم منصور ولحن بليغ حمدي وغنتها وردة وأيضاً الفنانة شريفة فاضل واحدة من أبرز الفنانين الذين قدموا أغاني للحرب وغنت أغنية «أم البطل» بعد 3 أشهر من النصر وكتبتها صديقتها الشاعرة نبيلة قنديل، وغيرها من الكلمات التي ما زلت محفورة بالذاكرة في وجدان الشعب المصري والعربي.

الواقع أنه كان للبيانات الأولى للحرب طابع خاص، حيث اتسمت بالموضوعية والمصداقية الشديدة والالتزام بالقراءة بلغة هادئة، واعتمدا على إذاعيين لديهم استعداد فكرى وثبات انفعالي قوي وممزوجين بهموم الوطن، ولم يركز على المجتمع الداخلي فقط، بالإضافة إلى الجبهة الداخلية من تموين وصحة وحالة المستشفيات، ولذلك نجح الإعلام المصري في تقديم الحقائق كاملة ومن هنا كان المصدر الرئيسي للوسائل الإعلامية العالمية وتفوق على نظيره الإسرائيلي.

مع بداية الحرب، يتذكر رئيس الإذاعة الأسبق، أن "بابا شارو" جمع الإذاعيين وطلب من صبري سلامة إعداد حقيبته للمبيت بالمبنى حتى انتهاء الملحمة، قائلًا: "وقتها تسابق الإذاعيين على إعداد حقائبهم".

لم تقتصر الأوضاع بين المواطنين وقت الحرب على ذلك الحس الوطني فقط، فالواقع على الأرض أنه منذ يوم السادس من أكتوبر 1973 ولمدة 16 يومًا، لم تقع أي جريمة جنائية في البلاد، ما يظهر أن الوطن بأكمله كان على قلب رجل واحد، فضلًا عن ظهور دور المرأة المصرية البسيطة الضخم وقتها بدعمها المشرف للحرب.

مراسلون عسكريون لعبوا دورًا بارزًا خلال حرب أكتوبر[1]

هم من لعبوا دورًا بارزًا في رفع الروح المعنوية للجنود خلال حرب أكتوبر المجيدة، وسطروا بحروف من نور البطولات التي قام بها الجنود على الجبهة، إنهم المراسلين الحربيين الذين قاموا بتغطية حرب أكتوبر المجيدة ونجحوا في نقل صورة حية من البطولات والأحداث والمواقف التي حفلت بها الحرب.

المراسلون الحربيون هم أصحاب أخطر المهام داخل الوسط الصحفي والإعلامي، لأنهم يغطون الحروب في ميادين القتال لكي يرصدون الوقائع على الأرض من مفارقات ومعارك، ففي حرب أكتوبر المجيدة كان هناك عدد من المراسلين الحربيين الذين كلفوا بتغطية ونقل صورة حية للحرب من على الجبهة، ومن ضمن المراسلين الحربيين التالي:

"يوميات مراسل حربي".. حمدي الكنيسي:

يحكي ذكرياته على جبهة القتال أكتوبر 1973 في "يوميات مراسل حربي".. حيث كشف الإذاعي الكبير حمدي الكنيسي، نقيب الإعلاميين السابق، ومراسل الإذاعة المصرية على الجبهة في حرب أكتوبر 73، تفاصيل دوره أثناء الحرب، موضحًا أنه بدأ العمل على الجبهة وقت حرب الاستنزاف، ويوم 6 أكتوبر كان في مقر الإذاعة يستعد للهواء ووجد أحد الأفراد من قطاع الأخبار جاء بالبيان الأول للحرب، مشيرًا إلى أنه تحرك لمكتب رئيس الإذاعة وطلب المشاركة في الحرب كمراسل حربي، وبعدها اتصل رئيس الإذاعة بوزير الإعلام وأوضح له أن هناك مراسلين حربيين يريدون المشاركة. كان يتواجد على الجبهة يوميًا ثم يعود للقاهرة لتسجيل ومونتاج برنامجيه اللذين كان يقدمهما وهما يوميات مراسل حربي وصوت المعركة، ثم يعود مجددًا للجبهة صباح اليوم التالي، مشيدًا بالروح القتالية لضباط وجنود قواتنا المسلحة التي ظهرت على ساحة المعركة وقت الحرب.

برنامجه صوت المعركة كان ذا صدى واسع داخل أرجاء إسرائيل، إذ كان يتابعه الإسرائيليون الذين يتحدثون اللغة العربية، وكذلك كان ذائع الصيت بين الفلسطينيين، وعقب ذلك أخبر أحد رجال المخابرات الرئيس الراحل أنور السادات بعد الحرب بأن إسرائيل شكلت لجنة لبحث أسباب هزيمة الجيش الاسرائيلي وبحث أسباب انتشار

(1) مراسلون عسكريون لعبوا دورًا بارزًا خلال حرب أكتوبر، رأي اليوم اللندنية، أكتوبر 2021..https://www.raialyoum.com

برنامج "صوت المعركة " بين الإسرائيليين المتحدثين باللغة العربية. بعدها أجرى الرئيس الراحل أنور السادات اتصالًا بوزير الإعلام حينئذ، وقال له "عايز أعرف حمدي الكنيسي بيتكرم ولا لأ؟ دا قالب دماغ إسرائيل"، وهنا طلبني وزير الإعلام وأخبرني عند لقائه إنه سيكرمني وسيرقيني ترقيتين، ولكني رفضت الترقية وطلبت إنشاء نقابة للإعلاميين.

أيضًا فهو رئيس الإذاعة الأسبق، حصل على ليسانس لغة إنجليزية وأدابها عام 1961 جامعة القاهرة، ودراسات في الترجمة الفورية بالجامعة الأمريكية عام 1966، ثم عمل خبيراً دولياً لدى اليونسكو من 1975 وحتى، 1978 وتم اختياره مستشارًا إعلاميًا لمصر في لندن ونيودلهي 1980 – 1985.

جمال الغيطاني:

الأديب الراحل جمال الغيطاني يعد أحد أبرز المراسلين الحربيين الذين نقلوا صورة حية لحرب أكتوبر المجيدة ،حيث كان مراسل حربى لمؤسسة أخبار اليوم أثناء الحرب ،ولد في 9 مايو من عام 1945، ورحل في 18 أكتوبر من عام 2015، تاركًا خلفه العديد والعديد من الأعمال الروائية والتاريخية، وحكايته مع الحرب وكبار الأدباء. يعد الغيطاني واحدًا من الكتاب الذين رسموا أحداث الواقع أمامهم بالكتابة، وصاحب حكايات الأدباء، راوي الحروب، محارباً في ميدان أدب الحرب، ومراسلاً وجندياً على جبهة القتال محارباً بقلمه، ومقاتلاً من أوائل المراسلين العسكريين ومؤرخ التراث، له العديد من الكتب والروايات التي تروى سيرته مع أبطال ملحمة العبور، ومن ضمن رواياته رواية "الرفاعي" والتي تناولت بطولات العميد أركان حرب إبراهيم الرفاعي مؤسس وقائد المجموعة 39 قتال، وكتاب "المصريون والحرب – من صدمة يونيو إلى يقظة أكتوبر" والذي تناول فيه عن مرارة ما بعد يونيو 1967، وما تعرض له المقاتل المصري من حملة نفسية واسعة، كما تحدث فيه عن أهالي مدينة السويس، وشجاعتهم خصوصًا من قرر البقاء فيها لتكون "أرض المحي والممات" لهم.

مكرم جاد الكريم:

أول مصور صحفي يدخل الجبهة في سيناء ،كان كبير مصوري أخبار اليوم وصاحب اللقطات العبقرية التي تؤرخ لتاريخ مصر في مناسبات عديدة، صاحب أخطر صور في تاريخ الصحافة وهي صور حادث المنصة عند اغتيال الرئيس الشهيد الراحل محمد

أنـور السـادات. قـام بتغطيـة الكثـير مـن الحـروب مثـل حـرب اليمـن وحـرب الاسـتنزاف وحـرب تشـاد وحـرب الخليـج وحـرب أكتوبـر.

عبده مباشر:

أحـد المحرريـن العسـكريين والمراسـلين الحربيـين المعروفـين في الوسـط الصحفـي والاعـلام، وكان مـن الأصدقـاء المقربـين للرئيـس الراحـل أنـور السـادات، صحفـي بمؤسسـة الاهـرام، وتطـوع في كتائـب الفدائيـين عـام 1951 وانضـم لقـوات الحـرس الوطنـي والمقاومـة الشـعبية بعـد نكسـة 1967، رغـم أنـه مـدني لكـن تاريخـه الطويـل في العمـل التطوعـي والمقاومـة الشـعبية أهلـه للالتحـاق بالمجموعـة 39 قتـال التـي كانـت مهمتهـا القتـال خلـف خطـوط العـدو في سـيناء، ولذلـك منحـه الرئيـس الراحـل انـور السـادات نـوط الشـجاعة مـن الطبقـة الأولى لتعـدد اعـمال الهجـوم عـلى العـدو واسر العديـد مـن أفـراده في ميـدان القتـال، كـما امـر بمنحـه رتبـة عسـكرية فخريـة، ليكـون بذلـك أول مـدني يحصـل عـلى هـذه الرتبـة بقـرار جمهـوري.

حمدي لطفي:

كان مراسـل عسـكري لـدى دار الهـلال وكان يوصـف بأنـه عميـد الصحفيـين المصريـين المتخصصـين في الشـئون العسـكرية

صلاح قبضايا:

التحـق بالأخبـار كمراسـل عسـكري لهـا في أوائـل السـتينيات بترشـيح مـن مصطفـى أمـين، يعـد "قبضايـا" مـن مواليـد عـام 1936 ونشـأ في بورسـعيد وقـت الإحتـلال الإنجليـزي ودرس في كليـة الأداب قسـم الصحافـة في أولى دفعاتهـا عـام 1961، الحيـاة في المدينـة الباسـلة كان لهـا الأثـر الكبـير في حيـاة صـلاح قبضايـا، فكتـب عـدة كتابـات في الصحافـة عـن مشـاهداته في المدينـة الباسـلة وأبنائهـا وارسـلها إلى صحيفـة الأخبـار حتـى رشـحها مصطفـى امـين للالتحـاق بالجريـدة كمراسـل عسـكري.

محمد لطفى:

أحـد أبـرز المراسـلين الحربيـين أثنـاء حـرب أكتوبـر المجيـدة، حيـث لعـب دورًا بـارزًا في نقـل صـورة حيـة عـن حالـة الهلـع التـي سرت في صفـوف العـدو الاسرائيـلي بفضـل النجـاح

الباهـر للقـوات المسـلحة في عبـور القنـاة، كان رئيسًـا لقسـم التصويـر في جريـدة الأهـرام ومـن أبـرز الصـور لـه اثنـاء حـرب أكتوبـر هـي صـورة التوابيـت الاسرائيليـة بعـد هزيمتهـم في حـرب أكتوبـر.

يبقـى هـو الحضـور السـياسي والعسـكري والأمنـي والاقتصادي المـصري في قضايـا الإقليم لا يغنـى عـن وجـود وحضـور اعلامـي وثقـافي قـوي.. وقـد أوشـكت معجـزة حـرب أكتوبـر وانتصارهـا التاريخـي أن تبلـغ مـن الدهـر نصـف قـرن، لكـن مازالـت لغـزًا محـيرًا للعـدو الإسرائيـلي، حيـث إن الصفعـة التـي تلقاهـا مـن جيشـنا كانـت أقـوى مـن مخيلتـه؛ لأن مـصر أدارت الحـرب بحنكـة ودهـاء جعلـت النـصر شـيئًا محتومًـا. والسـبب يعـود للحـرب النفسـية المفعمـة بالمعلومـات والشـائعات منهـا الحقيقـي ومنهـا المضلـل، في البدايـة حاولت وسـائل الاعـلام الإسرائيليـة والأخـرى الداعمـة لهـا في الإعـلام الغـربي تتحـدث ليـل نهـار بـأن الجيـش الإسرائيـلي هـو الجيـش الـذى لا يقهـر، وأنـه مـن أقـوى الجيـوش في المنطقـة، وأن أي حـرب محسـومة لمصلحتـه، معتمديـن في ذلـك عـلى حالـة الإحبـاط التـي شـعر بهـا الكثـير مـن أبنـاء الشـعب المـصري بعـد نكسـة 1967. وكانـت هـذه الحـرب النفسـية أشـد خطـرًا مـن الحـرب التـي كانـت تـدور عـلى الجبهـة بالأسـلحة، فهـي حـرب لم تكـن تـدور بـأي سـلاح مـادى ولكنهـا أسـلحة معنويـة تحـاول السـيطرة عـلى عقـول المصريـين وبـث روح الخـوف والهزيمـة بداخلهـم، هنـا أدركـت الدولـة المصريـة قـوة الإعـلام لـذا وظفتـه كأحـد أسـلحتها لهـدم ثقـة الجيـش الإسرائيـلي وتعزيـز الـروح القتاليـة في الجنـود عـلى الجبهـة. ولعـب المراسـلون الحربيـون ومذيعـو الإذاعـة دورًا بـارزًا في رفـع الـروح المعنويـة للجنـود خـلال حـرب أكتوبـر المجيـدة، وسـطروا بحـروف مـن نـور البطـولات التـي قـام بهـا الجنـود، حيـث قامـوا بتغطيـة حـرب أكتوبـر المجيـدة، ونجحـوا في نقـل صـورة حيـة مـن البطـولات والأحـداث والمواقـف التـي حفلـت بهـا الحـرب، عـلاوة عـلى نقـل صـورة مغايـرة للعـدو ضللتـه وأوهمتـه أنـه الرابـح لا محالـة.

الـدور الوطنـي الإذاعـي فـي الفيلـم الوثائقـي «صـوت العــرب»([1])

هـي إذاعـة صـوت العـرب إذاعـة مصريـة تبـث مـن القاهـرة عـلى تـردد AM 621 (وتـردد FM 106.3 مـن داخـل القاهـرة)، تـم إنشـائها في 4 يوليـو عـام 1953. وكانـت مـن أول وأشـهر الإذاعـات المصريـة التـي بثـت لجميـع أقطـار العـالم العـربي باللغـة العربيـة. اشـتهرت الإذاعـة كوسـيلة أساسـية اسـتخدمها في حينـه جـمال عبـد النـاصر لبـث خطاباتـه حـول الوحـدة العربيـة ومناهضـة الإسـتعمار الأجنبـي للبلـدان العربيـة.

تأسيس الإذاعة:

بـدأ بـث برنامـج واحـد تحـت اسـم صـوت العـرب عـلى إذاعـة راديـو القاهـرة، مـا تطـور لاحقًـا إلى إذاعـة مسـتقلة. صاحـب فكـرة تأسـيس إذاعـة صـوت العـرب كان الدكتـور محمـد عبـد القـادر حاتـم الـذي تـولّى فيـما بعـد منصـب وزيـر المعلومـات المـصري. أمـا الدعـم الأسـاسي للمـشروع جـاء مـن قبـل الرئيـس جـمال عبـد النـاصر. وقـد عمـل أحمـد سـعيد كمذيـع رئيـسي منـذ انطـلاق برنامـج صـوت العـرب عـبر إذاعـة القاهـرة ومديـر لإذاعـة صـوت العـرب عنـد تأسيسـها عـام 1953 وحتـى عـام 1967.

حتـى عـام 1960، تميـزت الصحافـة المصريـة المكتوبـة باسـتقلالها وموضوعيتهـا، لكـن في المقابـل كانـت الإذاعـات تحـت سـيطرة الحكومـة المصريـة المبـاشرة مـما أدى إلى تسـخيرها لخدمـة أغـراض النظـام. وكان الرئيـس المـصري آنـذاك جـمال عبـد النـاصر مـدركا لقـدرة الإذاعـات عـلى الإسـتحواذ عـلى الـرأي العـام الشـعبي المـصري مـما دفعـه للإسـتثمار لتطويـر الإذاعـة، مـما أدى إلى مضاعفـة وقـت البـث الإذاعـي مـن نصـف سـاعة يوميـة إلى خمسـة عـشر سـاعة يوميـة في عـام 1962 وإلى بـث عـلى مـدار السـاعة في نهايـة السـتينيات.

صوت العرب في حقبة ناصر:

تمحـور فحـوى بـث صـوت العـرب في أثنـاء حقبـة حكـم جـمال عبـد النـاصر حـول مفهـوم الوحـدة العربيـة والأفـكار الثوريـة ومناهضـة الاسـتعمار. اسـتغلت الحكومـة

(1) الدور الوطني الإذاعي في الفيلم الوثائقي «صوت العرب»، رأي اليوم اللندنية، 12 فبراير 2022.
https://www.raialyoum.com/

كذلك الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، فبراير 2022.https://www.politics-dz.com

الجديدة في مصر إمكانيات الإذاعة ودعت من خلالها إلى دعم المناضلين العرب ودعاة القومية العربية ومحاربة ما يسمى بالرجعية. كان صوت العرب صوت مجاهدي الجزائر والمغرب وتونس. وكان يذيع رسائل مشفرة لجبهة تحرير الجزائر والمقاومة الفلسطينية وكذلك جبهات التحرير بأفريقيا وكذلك كانت هي القوة الإعلامية في ثورة اليمن وداعمة لحركة التحرير في جنوب اليمن.

حاولت فرنسا إخماد صوته بتوزيع أجهزة راديو مجاناً لا تلتقط صوت العرب علي الجزائريين للتعتيم وإبطال تأثير الإذاعة. شاركت صوت العرب في تحرير دول الخليج العربية واستقلالها. وعبر مسيرة أكثر من نصف قرن وسط الأحداث العربية، يصفها مؤيدوها بأنها كانت صوت المناضلين العرب وحصن العروبة الإعلامي والمدافع عن القضايا العربية.

صوت العرب كانت إذاعة عبد الناصر للهجوم على الأنظمة العربية المناوئة له ومن أمثلتها نظام الملك حسين بن طلال في حقبة نهاية الستينات حيث أن للقناة جولات وصولات وتحيز واضح للأهداف الناصرية.

أشهر البرامج التي تقدمها إذاعة صوت العرب:

من أشهر البرامج التي تقدمها إذاعة صوت العرب (برنامج الشعب في سيناء) كان يقدم أثناء فترة احتلال سيناء لمد جسور التواصل بين أهالي سيناء المحتلة ووطنهم مصر (برنامج من حلو الكلام) برنامج (ملتقى الأحبة)، برنامج كومبيونت والذي يذاع مساء يوم الأربعاء من كل أسبوع. وبرنامج حوار علي البعد والجريدة العربية.

صوت العرب وحرب الاستنزاف:

كيف ساعدت «صوت العرب» في عملية ضرب ميناء إيلات؟.. وكذلك الدور التاريخي لـ«صوت العرب» عندما رفعت الروح المعنوية للجنود المصريين في حرب الاستنزاف. هنا جاءت البدايات فقد سبق أن كشف فيلم وثائقي حمل عنوان «صوت العرب»، عرضته شبكة قنوات «DMC»، أن إذاعة «صوت العرب» أدت دورًا كبيرًا في رفع الروح المعنوية للجنود المصريين خلال حرب الاستنزاف ودعم العمليات النوعية للفدائيين المصريين خلف خطوط العدو وحتى نصر أكتوبر، خاصة الإذاعي الكبير أحمد سعيد، إلا أنه ظُلم كثيرًا بسبب البيانات التي أذاعها في نكسة 1967.

إذاعة صوت العرب دعمت الجنود المصريين:

عرض الفيلم أن الإذاعة قدمت برنامجًا للشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودي، أبرز خلاله دور المصريين العاديين الذين صمدوا في مواجهة العدوان الإسرائيلي، وصواريخ الاحتلال، وهذا نوع من الدعم الإعلامي الذي قدمته الإذاعة في حرب الاستنزاف، إضافة إلى بث إذاعة أغاني فريق «ولاد الأرض»، والتي تتحدث عن مواجهة الاستعمار.

التواصل مع الأشقاء في الدول الأخرى:

كشف الإذاعي حمدي الكنيسي، أن إذاعة صوت العرب استخدمت في الاتصال مع الأشقاء في الأردن وسوريا، وحتى في عملية ضرب ميناء إيلات، من خلال شفرة معينة أذيعت، مثل أغنية بصوت شادية، تعطي تنبيهًا للأبطال الذين نفذوا العملية أن العدو يلاحظ الضفادع البشرية، وأغنية أخرى تعطيهم تنبيهًا بالتحرك.

أما محمد الخولي، أحد رواد إذاعة صوت العرب، فقال إن الإذاعة في وقت حرب أكتوبر عام 1973، كان بها اتزانًا في إذاعة الأخبار، وصحح الخطأ الذي حدث في نكسة 1967، رغم أنه لم يكن لديه أي ذنب في هذه الأخبار، لأنها كانت تأتي له وهو يذيعها فقط .

خدمة القضايا العربية:

لقد تناول الفيلم أيضًا دور الإذاعة في خدمة القضايا العربية من المغرب إلى الجزائر، حيث ساندت ملك المغرب حتى عودته من المنفى، وحفزت الجزائريين حتى تخلصوا من الاحتلال، وأيضًا تاريخ القناة ودورها في محاربة الاستعمار، ومخاطبة الشعوب العربية لتنفيذ رؤية جمال عبدالناصر في السياسة الخارجية.

لقطة من الفيلم:

حضر في أحدث إصدارات وحدة الأفلام الوثائقية بالشركة المتحدة للخدمات الإعلامية، وشبكة قنوات dmc، الفيلم الوثائقي «صوت العرب»، الذى يروى قصة نجاح أقدم وأعرق الإذاعات في الوطن العربي وهى إذاعة «صوت العرب» التي استطاعت جمع الشمل العربي عبر الأثير، حيث يلتقى لأول مرة في الفيلم كبار رواد الإذاعة للحديث عن ذكرياتهم وشهاداتهم وكواليس أشهر إذاعة عربية شاهدة على التاريخ،

التـي لعبـت دوراً مهـماً في العديـد مـن الأحـداث والقضايـا الوطنيـة، سـواء داخـل مـصر أو في الوطـن العـربي كلـه. فالفيلـم الوثائقـي يسـلط الضـوء عـلى دور الإذاعـة في الوحـدة بـين مـصر وسـوريا ومواجهـة العـدوان الثـلاثي ودعـم حـركات الاسـتقلال العربيـة.

الفيلم الوثائقي «صوت العرب» يتناول 12 محوراً :

حـضرت المحـاور مـع بدايـات الإذاعـة في مـصر، وتحديـات نشـأة صـوت العـرب، ودور صـوت العـرب في دعـم المعـارك العربيـة، وصـوت العـرب والعـدوان الثـلاثي، وإعـادة الإنشـاء خـلال الفـترة 1959، ودور صـوت العـرب في الوحـدة بـين مـصر وسـوريا، ودور صـوت العـرب في القضيـة الفلسـطينية، ودور صـوت العـرب في اليمـن والجزائـر، وتغطيـة صـوت العـرب لنكسـة 1967، وتغطيـة صـوت العـرب لانتصـار أكتوبـر المجيـد، والـدور الحـالي لصـوت العـرب، والأدوار الثقافيـة والفنيـة الأخـرى لصـوت العـرب.

يسـتعرض الفيلـم الأسـباب وراء نشـأة إذاعـة صـوت العـرب، وكواليـس قـرار الرئيـس جـمال عبدالنـاصر بتأسـيس الإذاعـة بنـاءً عـلى توصيـة مـن أحـد ضبـاط القـوات المسـلحة آنـذاك، وكيفيـة وضـع خريطـة البرامـج بالإذاعـة والأهـداف والسياسـة التحريريـة واختيـار المذيعـين والتوقيـت المناسـب للمسـتمع المـصري والعـربي، وتعبـير الإذاعـة عـن فلسـفة ثـورة 23 يوليـو، ودعـم حـركات الاسـتقلال في الـدول العربيـة، وأسـباب إذاعـة بيـان ثـورة الجزائـر لأول مـرة عـبر أثـير «صـوت العـرب»، وكيـف دعمـت الشـعوب العربيـة المناضلـة مـن أجـل الحصـول عـلى اسـتقلالها ضـد الاسـتعمار الأجنبـي في الجزائـر والمغـرب واليمـن، كذلـك الدور الـذى قامـت بـه لرعايـة الوحـدة بـين مـصر وسـوريا، فضـلاً عـن إطـلاق «ركـن فلسـطين» خصيصـاً لتغطيـة القضيـة الفلسـطينية ومسـاندتها.

العدوان الثلاثي 1956 على صوت العرب:

يتنـاول الفيلـم تفاصيـل اسـتهداف العـدوان الثـلاثي لصـوت العـرب وضرب محطـة إرسـال أبـو زعبـل، والـدور الـذى قامـت بـه صـوت العـرب لرفـع معنويـات الجماهـير بعـد نكسـة 1967، وصـولاً إلى انتصـار أكتوبـر المجيـد في 1973. ويسـتضيف فيلـم «صـوت العرب» عـدداً مـن الإذاعيـين الذيـن ذاعـت أصواتهـم المميـزة عـبر موجـات صـوت العـرب كالإذاعـي محمـد الخـولي، خبـير الإعـلام الـدولي، والإذاعـي محمـد مرعـي، رئيـس شـبكة صـوت العـرب الأسـبق، والإعلاميـة أمينـة صـبري، رئيـس شـبكة صـوت العـرب والمديـر العـام للمنوعـات

ورئيس اللجنة الدائمة لاتحاد الإذاعات العربية الأسبق، والإعلامي حمدي الكنيسي، رئيس صوت العرب والإذاعة المصرية الأسبق، وأيضاً الدكتور أحمد يوسف، أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، وسعيد الشحات، الكاتب الصحفي، وبروفيسور دوجلاس أ. بويد، الأستاذ الفخري للإعلام بجامعة كنتاكي.

تصريحات مخرج «صوت العرب»:

كان عندنا حماس كبير جداً من أول يوم في تحضير العمل.. وشعرنا بانبهار ومسئولية كبيرة وقال أحمد فؤاد، مخرج فيلم صوت العرب، إن دور الإذاعة المصرية الرئيسي كان مواجهة الاستعمار وتوعية الشعب العربي في ظرف استثنائي وإعادة الهوية الوطنية لمواجهة الاستعمار، موضحاً أن هذا الدور امتد من القاهرة إلى كل العواصم العربية، مشيراً إلى أن هجوم العدوان الثلاثي على إذاعة الصوت، كأول نقطة تم ضربها في ذلك الوقت، يؤكد أهمية الدور الوطني الذى كانت تلعبه الإذاعة وتأثيرها القوى الذى دفع دول العدوان الثلاثي لمحاولة التخلص منها وإسكات هذا الصوت. وأضاف «فؤاد»: «كان عندنا حماس كبير جداً من أول يوم في تحضير العمل، وعندما قطعنا بعض الخطوات في تجهيز الفيلم وتطرقنا إلى معلومات أكبر شعرنا بانبهار حقيقي ومسئولية كبيرة، لأننا وجدنا أنفسنا أمام كيان كبير لعب أدواراً إعلامية وثقافية وسياسية وعسكرية أيضاً وفى توقيت شديد الحساسية، فحاولنا أن نراعى الدقة والتحقق ونستمع إلى الشهادات الكاملة من أصحابها الذين عاشوا هذه الفترات المهمة».

مُعد الفيلم الوثائقي:

أكدت الدكتورة الشيماء العزب، مُعدة الفيلم، أنه شرف كبير بالنسبة لها المشاركة في هذا العمل الذى وصفته بأنه «تجربة ملهمة»، وتابعت: «أنا أحب الإذاعة منذ صغرى، وكنت مرتبطة بصوت العرب على وجه التحديد، لكن عندما كبرت وقرأت عن دور الإعلام ودرست تأثير الإعلام في قضايا الشعوب، عرفت مدى أهمية صوت العرب، وعندما بدأت أداء دوري في إعداد الفيلم الوثائقي اطلعت على معلومات لم أعرفها من قبل، فإذاعة صوت العرب قامت بدور فريد من نوعه في حشد الرأي العام المصري والعربي في توقيت مهم، كما لعبت دوراً ثقافياً وتعريفياً وتعليمياً في شرح وترويج مفاهيم مثل القومية، والإرادة الوطنية والاستقلال ودعم قضايا الدول العربية الشقيقة،

مثـل اليمـن وسـوريا والجزائـر وفلسـطين. وأضافـت «العـزب»: «الفيلـم تنـاول محطـات وطنيـة عديـدة، مثـل الوحـدة العربيـة بـين مـصر وسـوريا، والعـدوان الثـلاثي، وكيـف لعبـت الإذاعـة دوراً وطنيـاً في دعـم الجيـش والمقاومـة ورفـع الـروح العامـة للمواطنـين، وتنـاول أيضـاً نكسـة 67 وكيـف اسـتطاعت مـصر تجـاوز النكسـة والاعـتراف بالأخطـاء واسـتعادة قوتهـا ومصداقيتهـا وصـولاً إلى نـصر أكتوبـر».

مسئول أرشيف الفيلم:

هـو الباحـث أيمـن عثـمان، مسـئول أرشـيف الفيلـم: «صـوت العـرب حالـة كبـيرة جـداً عنـدي كمـصري وكباحـث وكمـصري لأنهـا حكايتنـا، ويجـب أن نحـكي حكايتنـا ولا يحكيهـا غيرنـا، وحاولنـا أن نحـكى حكايـة صـوت العـرب بمنتهـى الصـدق والشـغف والحـب، وكباحث لا يوجـد عنـدي أجمـل مـن السـعي الدائـم وراء الوثيقـة والخـبر والمانشـيت، وكل ورقـة كنـا نصـل إليهـا كانـت تزيـد مـن جـمال العمـل، مثـل وثيقـة تأسـيس صـوت العـرب في مـارس 53 ودورهـا في تحريـر الأرض العربيـة، والخـبر الصحفـى: فرنسـا تعلـن انزعاجهـا مـن صـوت العـرب، ومانشـيت: رئيـس وزراء فرنسـا يعلـن عـن قلقـه مـن صـوت العـرب، ومذكـرات احتجـاج للسـفارة الفرنسـية ومحاولـة التشـويش عـلى الإرسـال». وأضـاف «عثـمان» أن الفيلـم يسـتعرض العديـد مـن الوثائـق والأوراق التاريخيـة التـي ترصـد محطـات صـوت العـرب مـن التأسـيس إلى أكتوبـر 73، متابعـاً: «عدّدنـا عـشرات المواقـف التـي تؤكـد عظمـة مـصر وتاريخهـا ودور إذاعـة صـوت العـرب التـي كانـت صوتـاً لـكل عـربي، وأنـا فخـور بتاريـخ صـوت العـرب وفخـور بـدوري في الفيلـم الملحمـي».

المدير التنفيذي لوحدة الأفلام الوثائقية:

هـو شريـف سـعيد، المديـر التنفيـذي لوحـدة الأفـلام الوثائقيـة: «كان علينـا أن نـروى كيـف أُسسـت صـوت العـرب، وكيـف حـررت العـالم العربي مـن المحيـط إلى الخليـج، حكايات بذلـت وحـدة الأفـلام الوثائقيـة قصـارى جهدهـا مـن أجـل توثيقهـا كي لا يضـل تاريخنـا طريقـه إلى الأجيـال الجديـدة وسـط صخـب السـنوات ومرويـات أهـل الظـلام والـشر». ويقـول أحمـد الدرينـي، مديـر عـام الوحـدة: «صـوت العـرب الإذاعـة الأهـم والأخطـر في تاريـخ الإقليـم، الفيلـم يرصـد كيـف أُنشـئت؟ وكيـف أدارت مـصر بهـا معاركهـا؟ وكيـف اسـتفادت منهـا حـركات التحـرر الوطنـي؟ ولمـاذا احتجـت القـوى العالميـة ضدهـا رسـمياً في

أروقة الأمم المتحدة؟». ويتابع: «هذا فصل آخر من تاريخ البلاد، سياستها وإعلامها وحروبها وكواليس قراراتها الأكثر مفصلية، تقدمه وحدة الأفلام الوثائقية التي أشرف بإدارتها، ويصل إنتاجها اليوم لما بين العشرين والثلاثين فيلماً وثائقياً، كل منها يوثق ويؤرخ فصلاً من تاريخ هذه البلاد».

ضم الفيلم الوثائقي «صوت العرب» فريق عمل مكوناً من: أحمد فؤاد «سيناريو وإخراج»، والشيماء العزب «إعداد»، وأيمن عثمان «أرشيف»، وبيشوي عاطف «مدير التصوير»، وهاجر محمد «منتج فنى»، وهيثم الجابري «مونتاج»، وتحت إشراف شريف سعيد المدير التنفيذي لوحدة الأفلام الوثائقية، وأحمد الدريني مدير وحدة الأفلام الوثائقية.

يبقى أنه يأتي فيلم «صوت العرب» ضمن سلسلة الأفلام التي تقدمها وحدة الأفلام الوثائقية بالشركة المتحدة للخدمات الإعلامية وشبكة قنوات dmc، التي تهتم بتسليط الضوء على المحطات الوطنية في تاريخ مصر، إضافة إلى رصد إنجازات الدولة المصرية في مختلف المجالات من مشروعات قومية ضخمة تسهم فى تحسين حياة المواطنين، وكذلك مواجهة أفكار الجماعات المتطرفة ودعم الهوية الوطنية والحضارة المصرية بتنويعاتها على مدار التاريخ. وسبق أن أنتجت وحدة الأفلام الوثائقية، منذ تأسيسها حتى الآن، أكثر من 20 فيلماً وثائقياً متنوعاً ما بين أحداث تاريخية وسياسية وفنية واجتماعية، منها فيلم «معركة الإسماعيلية» الذى تناول بطولة الشرطة المصرية في مقاومة الاحتلال الأجنبي بمدينة الإسماعيلية، وفيلم «حريق القاهرة» الذي تناول أحداث حريق القاهرة في يناير 1952 ومَن كان يقف وراءها، وفيلم «أيام النصر» الذي رصد رواية حرب أكتوبر المجيد من واقع شهادات الإسرائيليين أنفسهم واعترافاتهم بالهزيمة الفادحة واستعرض أوراق لجنة التحقيق الإسرائيلية «أجرانات» مع قادة إسرائيل العسكريين والسياسيين، وفيلم «حكاية الفرقة» الذى رصد نشأة وتطور المسرح القومي في مصر مع ذكرى مرور 100 عام على تأسيسه.

نصر أكتوبر 1973 في أروقة الكتب.. والكتاب:

وسط كل ما أسلفناه... لم يخف على المهتمين بالأدب والثقافة أن هناك ندرة في الإبداع الروائي المتعلق بحرب أكتوبر، وما تم إنتاجه من أعمال لا يرقى إلى مستوى الحدث التاريخي، وعند ذلك تقام مقارنة ظالمة بين أعمالنا والأعمال الكبرى في الآداب

الأجنبية كـ "الحرب والسلام"، لتولستوي و"وداعًا للسلاح"، لهمنجواي و"والدون الهادئ"، لشولوخوف و"الأمل"، لمارلو و"أفول القمر"، لشتاينبك، وغيرها.

نفتقد إلى روايات الحرب:

بالرغم من أن هناك أعمالًا رائعة، ومعبرة عن الحرب مثل "الرفاعي" لجمال الغيطاني، و"الحرب في بر مصر" ليوسف القعيد و"نوبة رجوع" لمحمود الورداني و"أنشودة الأيام الآتية" لمحمد عبد الله الهادي و"السمان يهاجر شرقًا" للسيد نجم و"المرصد" لحنا مينا و"رفقة السلاح والقدر" لمبارك ربيع، وغيرها.

يأتي الأديب "يوسف القعيد" ليكون صاحب لوحة منفردة بالعديد من الروائع التي تناولت حرب أكتوبر ومنها "الحرب في بر مصر" و"في الأسبوع سبعة أيام" و"تجفيف الدموع" و"حكايات الزمن الجريح" و"أطلال النهار"، وغيرها من الروايات التي لامست وجدان القراء والمثقفين.

أيضا أسماء عديدة قدمت روايات هامة تجسد تلك المرحلة، نذكر من بينهم: "،"جمال الغيطاني، محمود الورداني، فتحي إمبابي، شحاتة عزيز جرجس، معصوم مرزوق (شجر الصبار)، سمير الفيل (رجال وشظايا)، محمد النحاس (الخريف الدامي)، السيد الجندي (سبع حبات من الرمال)، السيد عبد العزيز نجم، (يوميات مقاتل قديم)، بهي الدين عوض (سنوات الحب والموت)، محمد السيد سالم (يوميات على جدار الصمت)، فوزي البارودي (عندما تشتعل النجوم)، وقاسم مسعد عليوة (حدود الاستطاعة). وهناك أيضًا، محمود المنسي، إبراهيم العشري، عصام راسم فهمي، سمير رمزي المنزلاوي، عبد الحميد بسيوني عبد الحميد، مجيد سكرانة، أحمد ربيع الأسواني، سعد الدين حسن، مأمون الحجاجي، حسن علبة"،"، وأسماء أخرى كثيرة.

أجرت الباحثة "وداد عبد الفتاح خليفة" بجامعة الأزهر، دراسة تحت عنوان "أثر حرب أكتوبر على الاتجاه التعبيري في أدب الكاتب الروائي، أهارون ميجيد وجمال الغيطاني"، نالت عنها درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى. وقامت من خلالها برصد تأثيرات هذه الحرب على الساحتين الأدبيتين الإسرائيلية والعربية، من خلال بعض أعمال الروائيين الكبيرين، اللذين يعتبر كل منهما نموذجًا لأبناء جيله من الأدباء الذين عايشوا وتأثروا بتلك المرحلة الهامة من تاريخ مصر. واختارت الباحثة لكل من الأديبين محل الدراسة روايتين إحداهما كتبت على خلفية حرب 1967 والأخرى

كتبت على خلفية أكتوبر 1973، وتوصلت من خلالها إلى أن الغيطاني امتاز عن ميجيد بغلبة الموهبة، كما أوضحت أن الأدب العبري قبل حرب أكتوبر قد لعب دورًا هامًا وأساسيًا في نشأة دولة إسرائيل، حيث استخدمته الصهيونية السياسية علي أوسع نطاق في خدمة حملاتها الدعوية وحملاتها السياسية والعسكرية.

أما بالنسبة للأدب العربي فإن موقفه لم يكن على المستوى المطلوب كمًا وكيفًا تجاه الخطر الصهيوني، كذلك لم يكن يزيد عن كونه موقفا عاطفيًا يتسم بسب اليهود واستثارة العرب وتذكيرهم بأمجادهم الماضية أو بالبكاء والنحيب.

"خيري شلبي"،".. لا يوجد "،"أدب حرب"،" في الإبداع العربي:

هكذا أقر الروائي الراحل وشيخ الحكائين "خيرى شلبي"، الذي استثني فقط السير الشعبية، معتبرًا أن إبداعنا الحديث والمعاصر لم يعرف أدب الحرب، على الرغم من أننا خضنا ضد إسرائيل عدة حروب كبيرة في (1948، 1956، 1967، 1973)، قبل ذلك كانت مصر تحت الاحتلال الفرنسي ثم الإنجليزي.. لكن كل ذلك لم يطرح ما يمكن اعتباره أدب حرب.

مؤلفات عن حرب أكتوبر:

"مئة كتاب عن حرب أكتوبر"،" تأليف: ماهر الكيالي وماجد نعمة، "،"حرب أكتوبر"،" تأليف: سعد الدين الشاذلي, "الشرارة: قصة حرب أكتوبر 1973 "،" ترجمة، تحقيق: أنطوان بطرس، "ستة أكتوبر في الإستراتيجية العالمية" تأليف جمال حمدان. "حرب رمضان الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة"، حسن البدري، طه المجدوب والعميد ضياء الدين زهدي، "حرب أكتوبر في محكمة التاريخ"، عبد العظيم رمضان، "وثائق حرب أكتوبر"، بقلم موسى صبري, "حرب أكتوبر عام 1973 دراسة ودروس"، محمد فوزي، "مذكرات الجمسي حرب أكتوبر 1973"، المشير محمد عبد الغنى الجمسي، "حرب أكتوبر والمفاجأة الاستراتيجية"، تأليف عبد القادر ياسين.

عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993 صدر كتاب "أكتوبر 1973، السلاح والسياسة"، للكاتب محمد حسنين هيكل، في 883 صفحة، والكتاب هو الجزء الرابع من مجموعة, "حرب الثلاثين سنة"، أيضًا, "عند مفترق الطرق حرب أكتوبر.. ماذا

حـدث فيهـا.. ومـاذا حـدث بعدهـا!", محمـد حسـنين هيـكل, "العمليـات الحربيـة عـلى الجبهـة المصريـة", تأليـف جـمال حـماد، و"لا حـرب في أكتوبـر ولا سـلام", أنيـس منصـور, "البيـت والدخـان"," قصـص ومذكـرات عـن حـرب 73، تأليـف القـاص السـوري يحيـى خضـور، وتنتمـي هـذه المجموعـة إلى أدب الملحمـة يكتبهـا, "خضـوري", ويهديهـا إلى رفاقـه في السـلاح، مـن جنـود الجيـش العـربي البواسـل الذيـن شـاركوه في حـرب 6 أكتوبـر 1973.

لقـد واكبـت الروايـة المصريـة المحطـات الفارقـة في تاريـخ مـصر في القـرن العشريـن، خاصـة في إطـار المواجهـة مـع الاحتـلال الإسرائيـلي، فنجـد الأقـلام تتوقـف عنـد هزيمـة يونيـو 1967، مـا تجـلى فيـما كتبـه الـروائي فـؤاد حجـازي، والـذي عـاش تجربـة أسر قاسـية، في روايـة (الأسرى يقيمـون المتاريـس)، والتـي عكسـت حجـم الغضـب الشـعبي مـن الهزيمـة والرغبـة في الثـأر وإسـترداد الأرض المسـلوبة، لتمـر السـنوات العجـاف قبـل أن يغـاث النـاس بملحمـة النـصر الكبـير، إذ حقـق المـصري مـا كان يعـده خـبراء العسـكرية في العـالم مسـتحيلًا، وعـلى قـدر الحـدث جـاءت همـم الأدبـاء والشـعراء، فتفجـرت ينابيـع الإبـداع التـي تواكـب مشـاعر النـصر وحيـاة الجنـود الذيـن ضحـوا بحياتهـم وقصـص حبهـم في طريـق اسـتعادة أرض الوطـن، فظهـر سريعًـا مفهـوم روايـات الحـرب في مـصر، وأخـذ مكانـه بوضـوح ورسـخ سريعًـا في الأذهـان.

تعـد روايـة "أكتوبـر حبـي" (1974) لإبراهيـم الخطيـب، أول روايـة عـن حـرب أكتوبـر، والبدايـة الفعليـة لروايـات هـذه الحـرب، إذ يرصـد عـبر شـخصية الصـول رجـب، تطـور المجتمـع المـصري واسـتعداده لخـوض غـمار المعركـة، كـمارد شـق الأرض ليصنـع ملحمة وقف أمامهـا العـالم كلـه، أمـا روايـة "الرصاصـة لا تـزال في جيبـي" (1977)، لإحسـان عبدالقـدوس، فتعـد أشـهر نمـاذج روايـات انتصـارات أكتوبـر، بدايـة مـن عنـوان الروايـة الـذى جـاء معـبرًا عـن روح مـصر التـي لم تنكـسر بعـد هزيمـة يونيـو بـل ظلـت محتفظـة بالسـلاح وتنتظـر لحظـة الانتقـام في انتصـار أكتوبـر المجيـد، وتنعكـس هـذه الفلسـفة عـلى شـخصية محمـد بطـل الروايـة الـذى يعكـس في تطـور شـخصيته طبيعـة الشـخصية المصريـة الراغبـة في محـو عـار الهزيمـة بعـز النـصر، ولدينـا روايـة ترقـى إلى أن تكـون وثيقـة حيـة، وهـى روايـة "دوى الصمـت" للـواء عـلاء مصطفـى، الـذى شـارك في الحـرب فكانـت الروايـة أقـرب مـا تكـون للعمـل التسـجيلي لكنهـا مـع ذلـك لم تفقـد متعتهـا أو تماسـكها الـروائي. وبينـما فضـل الـروائي يوسـف السـباعي التركيـز عـلى بطـولات المصريـين في حـرب الاسـتنزاف عـبر عملـه

الـروائي "العمـر لحظـة" كمقدمـة أساسـية لانتصـارات أكتوبـر، كتـب الـروائي يوسـف القعيـد روايـة "الحـرب في بـر مـصر" (1978)، التـي تـدور عـن الحـرب لكنهـا تتخـذ مـن الحـرب العظيمـة موقفًـا فلسـفيًا عميقًـا، حـول كيـف يدفـع شـباب هـذا الوطـن وخصوصًـا الفقـراء الدمـاء مقابـل الدفـاع عـن أرض الوطـن، في حـين يجمـع المكاسـب مجموعـة مـن اللصـوص والمنتفعـين الذيـن يتاجـرون بدمـاء الجنـود الأطهـار، كـما ألـف الـروائي فـؤاد قنديـل روايـة "موسـم العنـف الجميـل" (1987)، التـي تركـز عـلى تجربـة تعـرض الجنـود للحصـار مـن قبـل العـدو وكيفيـة حققـوا النـصر عـبر اسـتعراض معانـاة وجهـاد عنـاصر مـن كتيبـة الجنود الأبطـال، ورصـدت روايـة "نوبـة رجـوع" (1982)، لمحمـود الـورداني، بسـالة الجنـدي المـصرى ومصـيره بعـد انتهـاء الحـرب. أمـا الـروائي جـمال الغيطـاني، فيعـد أحـد أهـم مـن كتبـوا عـن روح الشـخصية المصريـة في حـرب أكتوبـر، خاصـة أنـه عمـل كمحـرر عسـكري خـلال حـرب أكتوبـر، وتأثـر بالتجربـة التـي عاشـها بشـكل واضـح، مـا دفعـه لكتابـة العديـد مـن النصـوص التـي تـدور حـول أكتوبـر، وجعلتـه أحـد أهـم مـن كتبـوا عـن الحـرب وتجلياتهـا عـلى الواقـع المـصري، فقـد كتـب روايـة "الرفاعـي"، وقصتـه القصـيرة "حكايـات الغريـب"، وهـى روايـات تعكـس بطولـة المصريـين في صـورة بطـل واحـد يعـبر عـن الـروح الوطنيـة، كـما كتـب كتابـه المهـم "عـلى خـط النـار"، الـذى يـسرد فيـه بأسـلوب روائي مـا شـاهده أيـام الحـرب، ولديـه أيضًـا كتـاب "المصريـون والحـرب"، الـذى يسـتعرض فيـه واقـع المجتمـع مـن صدمـة الهزيمـة في يونيـو 1967، إلى اليقظـة مـع انتصـار أكتوبـر.

لم يتوقـف الاعتـماد عـلى لحظـة نـصر أكتوبـر كمنطلـق إبداعـي رغـم مـرور عـدة عقـود عـلى النـصر، إذ نجـد الـروائي سـمير الفيـل يكتـب روايـة "وميـض تلـك الجبهـة" (2008)، الـذى يتخـذ مـن حـرب أكتوبـر منطلقًـا لهـا، إذ يركـز عـلى وقائـع حقيقيـة لإحـدى كتائـب الجيـش ويمزجهـا في أسـلوب روائي بديـع، كـما كتـب عـمار عـلى حسـن روايـة "زهـر الخريـف" (2010)، التـي اسـتخدم فيهـا أجـواء حـرب أكتوبـر للتأكيـد عـلى الوحـدة الوطنيـة فالـدم سـواء في الدفـاع عـن الوطـن.

جـاء تأثـير الانتصـار في الحيـاة الأدبيـة، قائـلاً: "انتصـار حـرب أكتوبـر يعـد نقطـة تحـول للكثـير مـن جوانبنـا الثقافيـة عامـة، ومـن الممكـن أن نتأمـل نوعًـا أو نوعـين مـن الأجنـاس الأدبيـة تناولـت حـرب أكتوبـر وهـما الروايـة والشـعر، ونجـد في النوعـين تغـيرًا واضحًـا مـن نغمـة اليـأس والحـزن إلى نغمـة التفـاؤل والفـرح، فمثـلا عنـد نجيـب محفـوظ كتـب روايتـه

الملحمية (الحرافيش) بعد حرب أكتوبر، ففيها تفاؤل مقارنة بما سبقها من روايات فترة الهزيمة خصوصا رواية (ثرثرة فوق النيل) التي تعكس روحًا عدمية واليأس، وهو نفس ما نجده عند الشعراء الذين كتبوا عن حرب أكتوبر، بل إن هذه الروح نجدها قد انتقلت إلى شعراء عرب شاركونا في فرحة الانتصار".

هنا يجب أن نؤكد أن الحياة الفكرية كلها عاد إليها النبض من جديد، فالمشاريع الفكرية الكبرى عند كبار مفكرينا مثل حسن حنفى وعابد الجابرى بدأت بعد نكسة 1967، والتى تحفر فيما وراء النكسة، لكنها ظهرت فيما بعد حرب أكتوبر، والتى نستطيع أن نقول إنها أطلقت مناخا جديدا فى الحياة الثقافية سواء فلسفة أو أدبا، فنجد روايات جديدة تتحدث عن الحرب كما هو واضح فى رواية (الرصاصة لا تزال فى جيبى) لإحسان عبد القدوس، التى تعد علامة على مواكبة الرواية لتحولات حرب أكتوبر، وكذلك ما كتبه جمال الغيطانى عن الحرب، الذى كتب عنها فى الكثير من الكتب والروايات".

ويشير الناقد الكبير إلى أن الشعر عبر بوضوح عن حالة البهجة بالانتصار وكان أكثر انفعالا وسرعة فى التعبير عن لحظة النصر من الرواية، كما نجد فى قصيدة «البحر والبركان» للشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى، التى نشرها فى ديوانه (مرثية العمر الجميل)، أما الشاعر صلاح عبد الصبور فقد انفعل بالحدث التاريخى وكتب قصيدة غداة يوم العبور بعنوان (إلى أول جندى رفع العلم فى سيناء) ونشرها فى ديوان (الإبحار فى الذاكرة)، كما شارك الشاعر العربى عبدالعزيز المقالح بقصيدة (ما تيسر من سورة النصر)،

وهى إهداء إلى الحبيبة سيناء، كما كتب سليمان العيسى قصيدة يشيد بعبقرية الفريق سعد الدين الشاذلى أحد أبطال حرب أكتوبر، بعنوان (نقطة الضوء)، كما ألف الشاعر حسن فتح الباب مجموعة من القصائد منها (لحن أكتوبر) عن الانتصار العظيم".

من جانبه، يقول الدكتور نجيب عثمان أيوب، أستاذ الأدب العربى بجامعة حلوان: "خصّص الأدب مساحة كبيرة لتناول الحرب بين مصر وإسرائيل، وكيف أثرت هزيمة يونيو على المجتمع كله، ثم كيف أدى انتصار أكتوبر المجيد إلى إطلاق موجة إبداعية غير مسبوقة، ما تجلى فى عدد ضخم من الروايات بدأت بالحديث عن فترة النكسة

مثـل روايـة (الأسرى يقيمـون المتاريـس) لفـؤاد حجـازى، أمـا روايـة (الرفاعـي) لجـمال الغيطـانى وروايـة (الحـرب فى بـر مـصر) ليوسـف القعيـد، وفيهـما نجـد رصـدا لملحمـة الأبطـال، وتركيـز الصـورة عـلى الجنـود وحالتهـم النفسـية الذيـن عانـوا لسـبع سـنوات مـن الحـرب، حتـى اسـتطاعوا أن يحققـوا النـصر".

وتابـع أيـوب: "الكثـير مـن هـذه الأعـمال الروائيـة العميقـة فى تنـاول حـرب أكتوبـر، لم تأخـذ حقهـا فى التجسـيد الدرامـى عـلى الشاشـة سـواء فى السـينما أو الدرامـا التلفزيونيـة، فعـلى الرغـم مـن تقـدم الأعـمال الروائيـة وتقديمهـا بانوراما شـاملة متعـددة الطبقـات لحـرب أكتوبـر، إلا أن الدرامـا لم تسـتفد مـن هـذه الكنـوز بالشـكل الأمثـل، لـذا يجـب أن تهتـم وزارة الثقافـة ممثلـة عـن الحكومـة فى تمويـل تحويـل هـذه الأعـمال الروائيـة إلى أعـمال سـينمائية والاسـتفادة مـن نجـاح أعـمال مثـل (الممـر) و(الاختيـار) لبنـاء تجربـة سـينمائية تـوازى التجربـة الروائيـة الغنيـة والثريـة".

لم يقـل دور الأدبـاء والكتـاب، عـن دور الجنـود في معركـة حـرب أكتوبـر المجيـدة 1973، التـي حقـق فيهـا الجيـش المـصري انتصـارات كـبرى عـلى العـدو الصهيـوني، وتمكـن مـن تحريـر أرض الفـيروز، ورصـد الكتـاب تلـك المعـارك، وجسـدوها في العديـد مـن الكتـب.

وبمناسـبة الذكـرى الـ 47 لانتصـارات أكتوبـر نسـتعرض أبـرز الكتـب التـي تناولـت الحـرب، وجسـدت الملحمـة الكـبرى، كي يحفـظ للأجيـال التاليـة قصـة مـا حـدث.

"على خـط النـار.. يوميـات حـرب أكتوبـر".. جمـال الغيطانـي:

طـوال 5 سـنوات، منـذ 1969 إلى 1974، عمـل الأديـب الراحـل جـمال الغيطـاني مراسـلًا حربيًـا عـلى جبهـة القتـال لصالـح مؤسسـة "أخبـار اليـوم". وسـط المقاتلـين، كان "الغيطـاني" يسـجل يوميـات الحـرب بلغـة أدبيـة تجمـع بـين الدقـة والعذوبـة، ويرسـلها إلى "الأخبـار"، لتحظـى باهتـمام وإعجـاب القـراء، لدرجـة أن الرئيـس الراحـل عبـد النـاصر أشـاد بمراسـلاته الحربيـة قائـلا: "هـذه هـي الكتابـة التـي نريدهـا عـن الحـرب". في هـذا الكتـاب، الصـادر عـن "كتـاب اليـوم"، يضـم ثلاثـة فصـول ليوميـات الحـرب، الأول بعنـوان "مـا بعـد يونيـو 1967"، ثـم "مصريـون عـلى خـط النـار"، ويختمهـا بفصـل "ملحمـة العبـور العظيـم". الكتاب شـاهد عـلى عظمـة المصريـين، جيشًـا وشـعبًا، ويضـم بـين دفتيـه رسـائل وتحقيقـات وتقاريـر

صحفية عن المعركة، ومعايشات ورصد لحياة أهلنا في القناة وفي سيناء، وصمودهم العظيم تحت القصف الإسرائيلي.

"أكتوبر 1973.. السلاح والسياسة".. محمد حسنين هيكل:

هو الكتاب الذي قدمه الصحفي الراحل محمد حسنين هيكل عن معركة العبور، وصاحبه هو الرجل الذي كتب التوجيه الاستراتيجي للمعركة باسم الرئيس أنور السادات، القائد الأعلى للقوات المسلحة آنذاك، إلى المشير أحمد إسماعيل القائد العام. يكمل الكتاب رباعية "هيكل" عن الحروب مصر، إذ بدأها بكتاب "أزمة السويس" واتبعه بكتاب "سنوات الغليان" ثم "الانفجار". الكتاب يستعرض التحضير للمعركة، سارداً بالوثائق والتحليلات السياسية والعسكرية العميقة، كواليس الحرب وتراوح دفتها بين السلاح في أيدي المقاتلين والسياسية على طاولة المفاوضات.

حرب أكتوبر 1973.. مذكرات الجمسي:

قبل معركة العبور، كان المشير محمد عبد الغني الجمسي هو رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة برتبة "لواء"، وفي أثناء المعارك جرى ترقيته إلى رتبة فريق ليتولى رئاسة الأركان خلفا للفريق سعد الدين الشاذلي.

لذلك فإن هذا الكتاب يأتي من أحد قادة المعركة، الرجل الذي عُرف عنه أنه واضع الخطة التفصيلية لما قبل الحرب والمسماة بـ"كشكول الجمسي"، وفيها درس الظروف العسكرية والبيئية للمعركة، ما مهّد لاختيار التوقيت المناسب لساعة الصفر. في الكتاب يربط "الجمسي" بين حرب 5 يونيو 1967 وبين حرب 6 أكتوبر 1973، إذ يرى أنهما لا ينفصلان، وأن أخطاء الأولى أفادت في وضع الخطة المناسبة لمعركة التحرير.

خلف خطوط العدو.. لواء أسامة المندوه:

بينما كان الجنود المصريون رابضون على الضفة الغربية لقناة السويس، متأهبون للعبور، كان النقيب أسامة مندوه على رأس مجموعة استطلاع على بُعد نحو 100 كيلو شرق قناة السويس، خلف خطوط العدو. في هذا الكتاب المهم، نقرأ تفاصيل بطولة مصرية على قدر كبير من الأهمية، إذ عملت مجموعة الاستطلاع بقيادة "مندوه" على مراقبة تحركات العدو الإسرائيلي، وإرسالها للقيادة غرب القناة، مستعينين بمساعدات بدو سيناء. الكتاب يستعرض جهود مجموعة "مندوه" وكيف أفلتوا من محاولات

القـوات الإسرائيليـة للإيقـاع بهـم، ثـم عـادوا للقاهـرة سـالمين، ليسـتقبلهم القائـد العـام، المشـير أحمـد إسـماعيل، ويقلدهـم أوسـمة عسـكرية رفيعـة تقديـرا لبطولاتهـم.

حرب أكتوبر "دراسة ودروس".. الفريق أول محمد فوزي:

مؤلـف الكتـاب هـو واحـد مـن القـادة العسـكريين المشـهود لهـم بالكفـاءة، إذ ولاه الرئيـس الراحـل جـمال عبـد النـاصر قيـادة القـوات المسـلحة عقـب نكسـة 1967، لتطويـر القـوات، والخـروج بهـا مـن كابـوس الهزيمـة إلى حـرب الاسـتنزاف. ويـروي "فـوزي" بالدراسـة العسـكرية المعمقـة معـارك حـرب أكتوبـر مـع العـدو الإسرائيـلي مـن اليـوم الأول، 6 أكتوبـر، وحتـى 10 مـن الشـهر. إنهـا شـهادة عسـكرية مـن خبير متمـرس يـشرح فيهـا أسرار التخطيط لمعركـة العبـور، وكيـف أدارت القيـادة المعـارك، وخريطـة مـسرح العمليـات.

كيف حضر نصر أكتوبر 1973.. في أروقة الشعر والشعراء؟[1]

نعم يظل نصر أكتوبر/ تشرين الأول 1973، ملحمة عسكرية خالدة مُكللة بالعزة والفخر. وقديمًا قال أبو فراس الحمداني: «الشعر ديوان العرب، وعنوان الأدب»، فكيف عبرت القصيدة عن الملحمة؟. وهل كانت الحفاوة الشعرية تليق بالمعجزة العسكرية؟.

اللافت للنظر بداية أنه على الرغم من أن الأحداث التاريخية الكبرى تحتاج من الشعراء إلى قدر من الاختمار الداخلي، حتى يتمكنوا من استيعاب أبعادها فكريًا ووجدانيًا، من أجل التعبير عنها بصورة مناسبة- فإن الأمر يختلف تمامًا مع حرب أكتوبر. فما كتب عنها من شعر فصيح لكبار الشعراء يمثل في مجمله رد فعل لحظيًا على مفاجأة العبور المدهشة، خاصة مشهد رفع العلم المصري على أرض سيناء الحبيبة.

إذا حضر الشعر والشعراء.. وجب علينا أن نبدأ بالنشيد الوطني للجيش المصري

رسمنا على القلب وجه الوطن نخيلًا ونيلًا وشعبًا أصيلًا
وصناك يا مصر طول الزمن ليبقي شبابك جيلًا فجيلًا
على كل أرض تركنا علامة قلاعاً من النور تحمي الكرامة
عروبتنا تفتديك القلوب ويحميك بالدم جيش الكنانة
وتنساب يا نيل حرًا طليقًا لتحكي ضفافك معني النضال
وتبقى مدي الدهر حصنًا عريقًا بصدق القلوب وعزم الرجال
رسمنا على القلب وجه الوطن نخيلًا ونيلًا وشعبًا أصيلًا
وصناك يا مصر طول الزمن ليبقى شبابك جيلًا فجيلًا
يد الله يا مصر ترعى سماك وفي ساحة الحق يعلو نداك
ومادام جيشك يحمي حماك ستمضي إلى النصر دومًا خطاك
سلام عليك إذا ما دعانا رسول الجهاد ليوم الفداء
وسالت مع النيل يومًا دمانا لنبني لمصر العلا والرخاء
رسمنا على القلب وجه الوطن نخيلًا ونيلًا وشعبًا أصيلًا
وصناك يا مصر طول الزمن ليبقي شبابك جيلًا فجيلًا

(1) كيف حضر نصر أكتوبر 1973.. في أروقة الشعر والشعراء؟، رأي اليوم اللندنية، فبراير 2022. https://www.raialyoum.com

كذلك الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، فبراير 2022.

البدايات حضرت عندما كانت الساعة تشير إلى الثانية والربع من ظهيرة يوم السادس من أكتوبر 1973، حين انطلق صوت المذيع حلمي البلك عبر الإذاعة المصرية معلنًا البيان رقم واحد من القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية.

لم تصدقه الآذان رغم صوته الرخيم الواثق العميق، فذكريات الخامس من يونيو كانت لم تزل عالقة في الأذهان، والبيانات التي كانت تتوالى محصية طائرات العدو المتساقطة لم يعد يحتملها أحد، لكن البيان الأول أتبعه الثاني، ثم الثالث، حتى جاء البيان السابع الذى أعلن بوضوح عبور قواتنا قناة السويس، وفرض سيطرتها على الضفة الشرقية ورفع العلم المصري فوق أراضيها، هنا بدأ المصريون يشعرون بأنهم أمام حقيقة واقعة وليس ادعاء، أمام نصر فعلى وليس مغامرة عابرة.. وكما كان قرار الحرب صادمًا للعدو وأفقده اتزانه، كان كذلك بالنسبة للمصريين أنفسهم، فما بالنا أنها كانت حربًا ونصرًا في آن واحد؟.

لم يكن المبدعون، بمن فيهم الشعراء، أحسن حالًا من المواطنين البسطاء، فقد ألجمت المفاجأة الجميع، وتجاوز النصر المذهل حدود الكلمات التي يمكن أن تعبر عنه، فكان المنتج الشعرى المتزامن مع الحرب أو اللاحق لها لا يليق بعظمة هذا المنجز العبقري للعسكرية المصرية، وإذا كان للأدب عامة وللشعر على وجه الخصوص أن يستشرف المستقبل القريب على مدى خطوة أو خطوتين، فإن خطوة الجندي الذى عبر القناة متخطيًا حواجز الخوف والانكسار واليأس والهزيمة، مستعيدًا أرضه المسلوبة من جديد، عبرت في الوقت نفسه بحور الشعر وأوزانه وقوافيه، متخطية بلاغة الشعراء في صالوناتهم أو مقاهيهم التي يملؤها الدخان بآلاف الخطوات.. والأميال.

شعر الحرب:

لا بد أن نفرق أولاً بين الصراع مع إسرائيل، والحرب مع إسرائيل، ففي إطار الصراع هناك شعر كثير، هناك الشاعر الكبير الراحل "محمود درويش", الذي ظهر وتكون ونما في ظل هذا الصراع، وكتب تجربته الرئيسية في إطار الصراع ذاته، وهناك أيضا "سعد الله ونوس" في المسرح.

على مستوى الحرب، هناك نمو شعري حدث في إطار تجربة الحرب، مثال ذلك الشاعر الراحل "أمل دنقل", الذي نجد أن تجربته الشعرية تمت أساسًا في هذه المرحلة، مرحلة الحروب مع إسرائيل، و"دنقل", كان شاعرًا محرضًا على الحرب، لكن

عندما جاءت الحرب، لم يكن هناك شعر.. وهذه مفارقة كبيرة.

يقول "أمل دنقل", برائعته "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" عن نكسة 67:

عيد بأي حال عدت يا عيد؟

بما مضى؟ أم لأرض فيك تهويد؟

ونامت نواطير مصر عن عساكرها

وحاربت بدلًا منها الأناشيد!

ناديت: يا نيل هل تجري المياه دمًا

لكي تفيض، ويصحو الأهل أن نودوا؟

عيد بأي حال عدت يا عيد؟

رسائل عبدالصبور

تجاوز بعض الشعراء الصدمة الأولى، ولحقوا بركب النصر قبل أن يغادرهم، وصاغوا مشاعرهم حوله، وكان من أسبقهم الشاعر الكبير صلاح عبدالصبور، فكتب رسالته الأولى «إلى أول جندي رفع العلم في سيناء» بتاريخ 8 أكتوبر ، حيث يقول في مطلعها:

تمليناك حين أهل فوق الشاشة البيضاء

وجهك يلثم العلما

وترفعه يداك

لكى يحلق في مدار الشمس

حر الوجه مقتحما

وكان الوجه مبتسما

ثم أتبعها بقصيدته الثانية «إلى أول مقاتل قبل تراب سيناء»، والتي بدت أكثر شاعرية وإنسانية من الأولى، ولعل ذلك يرجع لتحرره من ضغط الوقت، أو لعلها أخذت قليلًا من الصبر للاختمار، حيث استعاد فيها بعضًا من لغته وشاعريته، فيقول:

ترى ارتجفت شفاهك

عندما أحسست طعم الرمل والحصباء

بطعم الدم مبلولًا؟

وماذا استطعمت شفتاك عند القبلة الأولي؟

وماذا قلت للرمل الذى ثرثر في خديك أو كفيك

حين انهرت تمسيحًا وتقبيلًا؟
وحين أراق في عينيك شوقًا كان مغلولًا
ومد لعشقك المشبوب ثوب الرمل محلولًا؟

أغنيات للعلم:

وإذا كان عبدالصبور قد تغنى بأول جندي رفع العلم في سيناء، فإن العلم نفسه كان له نصيب كبير من إبداع الشعراء، فقطعة القماش تلك بما لها من قيمة رمزية، وما لألوانها من معان تتعلق بالدم الأحمر، وعهود اليأس السوداء، ونهار التحرر الأبيض الوضئ، وبما لخفقانه من رمز للحرية والعزة، كل ذلك دفع محمد إبراهيم أبو سنة ليكتب قصيدته «خفقة العلم»، وفتحي سعيد ليكتب «أقبل العلم»، كما كتب أحمد عبدالمعطي حجازي «علم القنطرة شرق»، التي يقول في مطلعها:

كل راياتنا قطع من قماش
وأنت العلم
مصر أنجبت الناس زوجين زوجين
والحب أنجب أبناءهم
واصطفى المجد أجملهم
واهبًا لك أرواحهم يا علم
كلما نقلوا إليك في الطريق قدم
نسجوا فيك خيطًا
ومن كل قطرة دم
رسموا فيك لونًا
فهم أنت
ما برحوا ينقصون وتزداد
ينحدرون وتعلو

وهكذا لم يعد العلم قطعة القماش الملونة التي بلا معنى، فقد نسج بأرواح الشهداء، وصنعت دماؤهم لونه، وكل الذين سقطوا في ساحات المعركة لم يسقطوا إلا ليعلو.

لم يقف الأمر عند مجرد الفخر أو الاحتفاء بالجندي المصري وبسالته، أو العلم الخفاق، لكنه امتد للتعبير عن استعادة الكرامة والعزة، والخروج من سنين اليأس المظلمة، كما عبر عنها فاروق جويدة في «وخرجت مصر عن صمتها»، حيث يقول:

الآن أكتب قصتي

ما عاد هذا الصمت يخنق

في الحنايا عبرتي

اليوم تلتئم الجراح وتطمئن كرامتي

أما فاروق شوشة فقد قرر أن يسخر من ادعاءات الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وسقوطه أمام تضحيات الأبطال، فعبر عن ذلك في قصيدته الرائعة «اليوم السابع» التي اعتبر فيها أن الحرب لم تكن قد انتهت بعد «الأيام الستة» – في إشارة لنكسة يونيو– وأن هذا اليوم السابع هو استكمال لها، فأبدع قائلًا:

اليوم السابع جاء

سقطت أحلام المخمورين المزهوين

قذفت ببقايا الوهم الجاثم في سيناء

والوهم ابتلعته الصحراء

أنبتت الأرض الطيبة المخضوبة

وردًا يسقيه دم الأبطال

وحنين التواقين ليوم الثأر

جاؤوا كالسيل الجارف.. كالزلزال

عودة جاهين:

لم يتوقف إبداع الحرب عند شعراء الفصحى الكبار فقط، لكنه امتد إلى شعراء العامية، خصوصًا أنهم الأكثر التصاقًا بالجماهير وتلاحمًا معهم، ومع آمالهم وآلامهم، أحلامهم وأمانيهم، لذلك لم يكن غريبًا أن يستعيد شاعر بقيمة صلاح جاهين روحه من جديد، ويخرج من صمته الطويل، وحالة العزلة التي فرضها على نفسه بإرادته عقب النكسة، بعدما شعر بانهيار الحلم، وبعدما شعر بمشاركته في خديعة الجماهير بأشعاره وأغانيه التي رسمت لهم أحلامًا كبيرة، وخلقت لهم طموحات غير محدودة الأفق، دون أن تبذل القيادة السياسية والعسكرية الجهد والتخطيط المطلوب لتحقيق

هـذه الأحـلام والطموحـات.

عـاد جاهـين إلى عـالم الشـعر الوطنـي مـن جديـد بقصيدتـه التـي لم يجـد لهـا عنوانًـا أجمـل مـن «أكتوبـر», والتـي يقـول فيهـا:

وحياة عيون مصر اللي نهواها
وأكتوبر اللي كما النشور جاها
بلاش نعيد في ذنوب عملناها
وحياة ليالي سود صبرناها
واتبددت بالشمس وضحاها
نكبح جماح الغرور مع إنه من حقنا
ونحمى النفوس منه
ولو العبور سألونا يوم عنه
نقول مجرد خطوة خدناها

فرغـم فرحـة جاهـين الطاغيـة بالانتصـار إلا أن احتفالـه جـاء هادئًـا هـذه المـرة.. حـذرًا، لم تفـارق مخيلتـه نكسـة يونيـو، لذلـك فهـو يطالـب بعـدم الغـرور أو الاسـتعلاء، واعتبـار العبـور مجـرد خطـوة في سـبيل التحـرر الكامـل.

هـذا الشـعور ربمـا لم يحـس بـه أحمـد فـؤاد نجـم، ولعـل ذلـك يرجـع لطبيعتـه الشـخصية المقاتلـة، وتجاربـه الحياتيـة والسياسـية التـي منحتـه قـوة إضافيـة، أو ربمـا لتحـرره مـن الشـعور بالذنـب الـذي سـيطر عـلى جاهـين عقـب النكسـة، مـن هنـا جـاءت قصائـد الفاجومـي حـول نـصر أكتوبـر أكـثر غـزارة وانطلاقًـا وتفـاؤلًا، فكتـب في «منشـور علنـي رقـم 1»:

أيهـا المواطنـون/ أيهـا المواطنـات/ مـصر مـن طـول السـكات بتناديكـم/ تسـمعون؟/ عطـروني بالبـارود/ كحلـوني باللمـون/ عايـز أغمـض أو أفتـح/ يرجـع الشـوف للعيـون/ والقـى سـينا جـوا حضنـي/ والجنايـن والزيتـون/ يـا حبايبـي/ يـا جنـودي/ مـا عسـاكم تفعلـون؟. كـما كتـب «دولا مـين» التـي مجـد فيهـا الجنـود المصريـين مـن أبنـاء الفلاحـين، وكتـب كذلـك قصيدتـه الجميلـة «ضليلـة فـوق رأس الشـهيد»، التـي يقـول فيهـا:

خبر بالنكتة لوجيا
الحراقة والتكنولوجيا والتاريخ

هجم الزناتي ع الخواجة
ولبسه العمة بصاروخ
«جود» عليوة.. «باد» مائير
كل عام فانتوم بخير

بالإضافة للشاعرين الكبيرين «جاهين» و«نجم» ، شارك فؤاد حداد وعبدالرحيم منصور ومحسن الخياط.. وغيرهم بقصائد عديدة، فأين كان الأبنودي؟:

العاجزون عن الكلام:

عند اندلاع الحرب كان الأبنودي يعمل في لندن، حيث تابعها عبر الشاشات، لكنه ظل عاجزًا عن ملاحقتها أو التعبير عنها، ظل شاعرًا طوال الوقت إنه لن يستطيع أن يكتب ما يليق بها، حتى كتب في مطلع 1974 «صباح الخير يا سينا». ولم يكن الأبنودي متفردًا بذلك بين الشعراء، فنزار قباني ومحمود درويش خانهما الشعر فاكتفيا بكتابة مقالات لتمجيد اللحظة، وإن كان نزار قد كتب لاحقًا قصيدته «ترصيع بالذهب على سيف دمشقي» التي يقول فيها:

جاء تشرين يا حبيبة عمرى
أحسن وقت للهوى تشرين الأول
سنوات سبع من الحزن مرت
مات فيها الصفصاف والزيتون

أما أمل دنقل، الشاعر المتمرد، الذي سيطرت قضايا الثورة والوطنية والتحرر والمقاومة على أغلب أعماله، فلم يكتب سطرًا عن النصر، وبعد ديوانيه «البكاء بين يدى زرقاء اليمامة- 1969»، و«تعليق على ما حدث- 1972 » جاء ديوانه الثالث «مقتل القمر» الذي صدر عقب النصر بعام واحد خاليًا من أي إشارة للحرب والنصر.. ولو من بعيد.

إن المتتبع للحالة الشعرية عامة أثناء الحرب، وعقب الانتصار، يكتشف أن الإبداع الشعرى لم يرق أبدا لقيمة النصر، سواء من حيث الكم أو الكيف، فجاءت معظم القصائد -إلا ما ندر- دون مستوى الحدث، بل دون مستوى مبدعيها أنفسهم، فأغلبها قصائد زاعقة، تفتقر في أحيان كثيرة للخيال والرؤية والشاعرية، تندرج تحت ما يسمى «شعر المناسبات»، وكأنها كتبت فقط لمجرد تبرئة الذمة أمام النفس، أو أمام الأجيال الآتية.. أو -ربما- أمام النظام.

هنا يمكن إرجاع المستوى الضعيف للقصائد، أو الصمت المريب الذي لاذ به بعض الشعراء إلى قرار الحرب الذي فاجأ الجميع، أو ربما يرجع ذلك لقصر مدة الحرب، حيث تم وقف إطلاق النار في 22 أكتوبر 1973، ثم بدأت السياسة -وألاعيبها- تأخذ مجراها متسارعة، ليفقد النصر -بفعل السياسة- بعض بريقه، نتيجة سلسلة من القرارات المختلف عليها -في ذلك الوقت- بين القيادة السياسية والمثقفين.

لكن هل يمكن إرجاع هذا الضعف الفني للقصائد أو التجاهل لنصر أكتوبر من جانب بعض الشعراء، لارتباطهم اللصيق بجمال عبدالناصر وتجربته الاشتراكية؟، أو عدم قناعتهم بالقيادة السياسية التي خلفت «زعيمهم»، وتشككهم في نوايا السادات وطبيعة توجهاته.. بل وربما استكثارهم تحقيق انتصار بهذا الحجم والقيمة في عهده؟.. إن مراجعة سريعة لقصائد ما بعد النكسة أو التنحي، أو مرثيات جمال عبدالناصر بعد وفاته، ومقارنتها بقصائد نصر أكتوبر قد تدعم هذه الفرضية.. ولو من بعيد.

شعراء على خط النار:

إلى جانب الأسماء الكبيرة واللامعة من الشعراء في وقت الحرب, كانت هناك مجموعة من الشعراء يبدأون خطواتهم الأولى، حيث عايشوا الحرب وخاضوا غمارها كمجندين في القوات المسلحة المصرية، لعل أبرزهم ماجد يوسف الذي سجل تجربته على خط النار في ديوانه الأول «مسجل مستعجل من سيناء» والذي أصدره عام 1974، كما تضمن ديوانه الثاني «ست الحزن والجمال» الأجواء ذاتها، حيث كتب قصائده خلال الفترة من 1967 حتى 1975، ومما كتبه:

أحلم في صدرك بالرضاع
بالري بعد سنين العطش
وانبش في صحرا محبتك
عن نبع كان مليان حنان
متشوقة لزمن السيول المغرقة
فارس يبوسك
يمنحك سر المطر
يسحب من الأعماق بحبه
السم.. ويزيح الخطر

بالإضافة إلى ماجد يوسف كان هناك عباس توفيق خضر، الذي عبر في «صفحات من مذكرات شاهد عيان» عن مشاعره لحظة العبور، وحسن النجار صاحب العديد من القصائد المتعلقة بالحرب، ومنها «فصل التعميد» و«بدر سيناء»، كما كتب زين العابدين فؤاد مع الأيام الأولى للحرب قصيدته «الحرب لسه في أول السكة»، التي جاء فيها:

الفلاحين ضموا غيطان القمح
رفعوا الرايات في الفجر متندية
رفعوا السنابل بنادق
عبوا البنادق بارود
الرملة قادت حرايق
والنار في دم الجنود
والحرب زى جناين الحرية
مهرة مالهاش حدود

نصر أكتوبر 1973 في أروقة الكتب.. والكتاب[1]

وسط كل ما أسلفناه... لم يخف على المهتمين بالأدب والثقافة أن هناك ندرة في الإبداع الروائي المتعلق بحرب أكتوبر، وما تم إنتاجه من أعمال لا يرقى إلى مستوى الحدث التاريخي، وعند ذلك تقام مقارنة ظالمة بين أعمالنا والأعمال الكبرى في الآداب الأجنبية كـ "الحرب والسلام", لتولستوي و"وداعًا للسلاح", لهمنجواي و"والدون الهادئ", لشولوخوف و"الأمل", لمارلو و"أفول القمر", لشتاينبك، وغيرها.

نفتقد إلى روايات الحرب:

بالرغم من أن هناك أعمالًا رائعة، ومعبرة عن الحرب مثل "الرفاعي" لجمال الغيطاني، و"الحرب في بر مصر" ليوسف القعيد و"نوبة رجوع" لمحمود الورداني و"أنشودة الأيام الآتية" لمحمد عبد الله الهادي و"السمان يهاجر شرقًا" للسيد نجم و"المرصد" لحنا مينا و"رفقة السلاح والقدر" لمبارك ربيع، وغيرها.

يأتي الأديب "يوسف القعيد" ليكون صاحب لوحة منفردة بالعديد من الروائع التي تناولت حرب أكتوبر ومنها "الحرب في بر مصر" و"في الأسبوع سبعة أيام" و"تجفيف الدموع" و"حكايات الزمن الجريح" و"أطلال النهار", وغيرها من الروايات التي لامست وجدان القراء والمثقفين.

أيضا أسماء عديدة قدمت روايات هامة تجسد تلك المرحلة، نذكر من بينهم: ","جمال الغيطاني، محمود الورداني، فتحي إمبابي، شحاتة عزيز جرجس، معصوم مرزوق (شجر الصبار)، سمير الفيل (رجال وشظايا)، محمد النحاس (الخريف الدامي)، السيد الجندي (سبع حبات من الرمال)، السيد عبد العزيز نجم، (يوميات مقاتل قديم)، بهي الدين عوض (سنوات الحب والموت)، محمد السيد سالم (يوميات على جدار الصمت)، فوزي البارودي (عندما تشتعل النجوم)، وقاسم مسعد عليوة (حدود الاستطاعة). وهناك أيضًا، محمود المنسي، إبراهيم العشري، عصام راسم فهمي، سمير رمزي المنزلاوي، عبد الحميد بسيوني عبد الحميد، مجيد سكرانة، أحمد ربيع الأسواني، سعد الدين حسن، مأمون الحجاجي، حسن علبة",، وأسماء أخرى كثيرة.

---

(1) نصر أكتوبر 1973 في أروقة الكتب.. والكتاب، رأي اليوم اللندنية، فبراير 2022.-https://www.raialy-oum.com

أجـرت الباحثـة "وداد عبـد الفتـاح خليفـة" بجامعـة الأزهـر، دراسـة تحـت عنـوان "أثـر حـرب أكتوبـر عـلى الاتجـاه التعبـيري في أدب الكاتـب الـروائي، أهـارون ميجيـد وجـمال الغيطـاني", نالـت عنهـا درجـة الدكتـوراة مـع مرتبـة الـشرف الأولى. وقامـت مـن خلالهـا برصـد تأثـيرات هـذه الحـرب عـلى السـاحتين الأدبيتـين الإسرائيليـة والعربيـة، مـن خـلال بعـض أعـمال الروائيـين الكبيريـن، اللذيـن يعتـبر كل منهـما نموذجًـا لأبنـاء جيلـه مـن الأدبـاء الذيـن عايشـوا وتأثـروا بتلـك المرحلـة الهامـة مـن تاريـخ مـصر. واختـارت الباحثـة لـكل مـن الأديبـين محـل الدراسـة روايتـين إحداهـما كتبـت عـلى خلفيـة حـرب 1967 والأخـرى كتبـت عـلى خلفيـة أكتوبـر 1973، وتوصلـت مـن خلالهـا إلى أن الغيطـاني امتـاز عـن ميجيـد بغلبـة الموهبـة، كـما أوضحـت أن الأدب العـبري قبـل حـرب أكتوبـر قـد لعـب دورًا هامًـا وأساسـيًا في نشـأة دولـة إسرائيـل، حيـث اسـتخدمته الصهيونيـة السياسـية عـلي أوسـع نطـاق في خدمـة حملاتهـا الدعويـة وحملاتهـا السياسـية والعسـكرية.

أمـا بالنسـبة لـلأدب العـربي فـإن موقفـه لم يكـن عـلى المسـتوى المطلـوب كـمًا وكيفًـا تجـاه الخطـر الصهيـوني، كذلـك لم يكـن يزيـد عـن كونـه موقفـا عاطفيًـا يتسـم بسـب اليهـود واسـتثارة العـرب وتذكيرهـم بأمجادهـم الماضيـة أو بالبـكاء والنحيـب.

"خيـري شلبي","..لا يـوجد ","أدب حرب","في الإبداع العربي:

هكـذا أقـر الـروائي الراحـل وشـيخ الحكائـين "خـيرى شـلبي", الـذي اسـتثني فقـط السـير الشـعبية، معتـبرًا أن إبداعنـا الحديـث والمعـاصر لم يعـرف أدب الحـرب، عـلى الرغـم مـن أننـا خضنـا ضـد إسرائيـل عـدة حـروب كبـيرة في (1948، 1956، 1967، 1973)، قبـل ذلـك كانـت مـصر تحـت الاحتـلال الفرنـسي ثـم الإنجليـزي.. لكـن كل ذلـك لم يطـرح مـا يمكـن اعتبـاره أدب حـرب.

مؤلفات عن حرب أكتوبر:

"مئـة كتـاب عـن حـرب أكتوبـر"," تأليـف: ماهـر الكيـالي وماجـد نعمـة، ","حـرب أكتوبـر"," تأليـف: سـعد الديـن الشـاذلي, "الـشرارة: قصـة حـرب أكتوبـر 1973 "," ترجمـة، تحقيـق: أنطـوان بطـرس، "سـتة أكتوبـر في الإسـتراتيجية العالميـة" تأليـف جـمال حمـدان. "حـرب رمضـان الجولـة العربيـة الإسرائيليـة الرابعـة", حسـن البـدري، طه المجـدوب والعميد ضيـاء الديـن زهـدي، "حـرب أكتوبـر في محكمـة التاريـخ", عبـد العظيـم رمضـان، "وثائـق

حـرب أكتوبـر", بقلـم مـوسى صـبري, "حـرب أكتوبـر عـام 1973 دراسـة ودروس", محمـد فـوزي، "مذكـرات الجمـسي حـرب أكتوبـر 1973", المشـير محمـد عبـد الغنـى الجمـسي، "حـرب أكتوبـر والمفاجـأة الاسـتراتيجية", تأليـف عبـد القـادر ياسـين.

عـن مركـز الأهـرام للترجمـة والنـشر، 1993 صـدر كتـاب "أكتوبـر 1973، السـلاح والسياسـة", للكاتـب محمـد حسـنين هيـكل، في 883 صفحـة، والكتـاب هـو الجـزء الرابـع مـن مجموعـة, "حـرب الثلاثـين سـنة", أيضًـا, "عنـد مفـترق الطـرق حـرب أكتوبـر.. مـاذا حـدث فيهـا.. ومـاذا حـدث بعدهـا!", محمـد حسـنين هيـكل, "العمليـات الحربيـة عـلى الجبهـة المصريـة", تأليـف جـمال حـماد، و"لا حـرب في أكتوبـر ولا سـلام", أنيـس منصـور, "البيـت والدخـان"," قصـص ومذكـرات عـن حـرب 73، تأليـف القـاص السـوري يحيـى خضـور، وتنتمـي هـذه المجموعـة إلى أدب الملحمـة يكتبهـا, "خضـوري", ويهديهـا إلى رفاقـه في السـلاح، مـن جنـود الجيـش العـربي البواسـل الذيـن شـاركوه في حـرب 6 أكتوبـر 1973.

لقـد واكبـت الروايـة المصريـة المحطـات الفارقـة في تاريـخ مـصر في القـرن العشريـن، خاصـة في إطـار المواجهـة مـع الاحتـلال الإسرائيـلي، فنجـد الأقـلام تتوقـف عنـد هزيمـة يونيـو 1967، مـا تجـلى فيـما كتبـه الـروائي فـؤاد حجـازي، والـذي عـاش تجربـة أسر قاسـية، في روايـة (الأسرى يقيمـون المتاريـس)، والتـي عكسـت حجـم الغضـب الشـعبي مـن الهزيمـة والرغبـة في الثـأر وإسـترداد الأرض المسـلوبة، لتمـر السـنوات العجـاف قبـل أن يغـاث النـاس بملحمـة النـصر الكبـير، إذ حقـق المـصري مـا كان يعـده خـبراء العسـكرية في العـالم مسـتحيلًا، وعـلى قـدر الحـدث جـاءت همـم الأدبـاء والشـعراء، فتفجـرت ينابيـع الإبـداع التـي تواكـب مشـاعر النـصر وحيـاة الجنـود الذيـن ضحـوا بحياتهـم وقصـص حبهـم في طريـق اسـتعادة أرض الوطـن، فظهـر سريعًـا مفهـوم روايـات الحـرب في مـصر، وأخـذ مكانـه بوضـوح ورسـخ سريعًـا في الأذهـان.

تعـد روايـة "أكتوبـر حبـي" (1974) لإبراهيـم الخطيـب، أول روايـة عـن حـرب أكتوبـر، والبدايـة الفعليـة لروايـات هـذه الحـرب، إذ يرصـد عـبر شـخصية الصـول رجـب، تطـور المجتمـع المـصري واسـتعداده لخـوض غـمار المعركـة، كـمارد شـق الأرض ليصنـع ملحمة وقف أمامهـا العـالم كلـه، أمـا روايـة "الرصاصـة لا تـزال في جيبـي" (1977)، لإحسـان عبدالقـدوس، فتعـد أشـهر نمـاذج روايـات انتصـارات أكتوبـر، بدايـة مـن عنـوان الروايـة الـذى جـاء معـبرًا عـن روح مـصر التـي لم تنكـسر بعـد هزيمـة يونيـو بـل ظلـت محتفظـة بالسـلاح وتنتظـر

لحظة الانتقام في انتصار أكتوبر المجيد، وتنعكس هذه الفلسفة على شخصية محمد بطل الرواية الذى يعكس في تطور شخصيته طبيعة الشخصية المصرية الراغبة في محو عار الهزيمة بعز النصر، ولدينا رواية ترقى إلى أن تكون وثيقة حية، وهى رواية "دوى الصمت" للواء علاء مصطفى، الذى شارك في الحرب فكانت الرواية أقرب ما تكون للعمل التسجيلي لكنها مع ذلك لم تفقد متعتها أو تماسكها الروائي. وبينما فضل الروائي يوسف السباعي التركيز على بطولات المصريين في حرب الاستنزاف عبر عمله الروائي "العمر لحظة" كمقدمة أساسية لانتصارات أكتوبر، كتب الروائي يوسف القعيد رواية "الحرب في بر مصر" (1978)، التي تدور عن الحرب لكنها تتخذ من الحرب العظيمة موقفًا فلسفيًا عميقًا، حول كيف يدفع شباب هذا الوطن وخصوصًا الفقراء الدماء مقابل الدفاع عن أرض الوطن، في حين يجمع المكاسب مجموعة من اللصوص والمنتفعين الذين يتاجرون بدماء الجنود الأطهار، كما ألف الروائي فؤاد قنديل رواية "موسم العنف الجميل" (1987)، التي تركز على تجربة تعرض الجنود للحصار من قبل العدو وكيفية حققوا النصر عبر استعراض معاناة وجهاد عناصر من كتيبة الجنود الأبطال، ورصدت رواية "نوبة رجوع" (1982)، لمحمود الورداني، بسالة الجندي المصرى ومصيره بعد انتهاء الحرب. أما الروائي جمال الغيطاني، فيعد أحد أهم من كتبوا عن روح الشخصية المصرية في حرب أكتوبر، خاصة أنه عمل كمحرر عسكري خلال حرب أكتوبر، وتأثر بالتجربة التي عاشها بشكل واضح، ما دفعه لكتابة العديد من النصوص التي تدور حول أكتوبر، وجعلته أحد أهم من كتبوا عن الحرب وتجلياتها على الواقع المصري، فقد كتب رواية "الرفاعي"، وقصته القصيرة "حكايات الغريب"، وهى روايات تعكس بطولة المصريين في صورة بطل واحد يعبر عن الروح الوطنية، كما كتب كتابه المهم "على خط النار"، الذى يسرد فيه بأسلوب روائي ما شاهده أيام الحرب، ولديه أيضًا كتاب "المصريون والحرب"، الذى يستعرض فيه واقع المجتمع من صدمة الهزيمة في يونيو 1967، إلى اليقظة مع انتصار أكتوبر.

لم يتوقف الاعتماد على لحظة نصر أكتوبر كمنطلق إبداعي رغم مرور عدة عقود على النصر، إذ نجد الروائي سمير الفيل يكتب رواية "وميض تلك الجبهة" (2008)، الذى يتخذ من حرب أكتوبر منطلقًا لها، إذ يركز على وقائع حقيقية لإحدى كتائب الجيش ويمزجها في أسلوب روائي بديع، كما كتب عمار على حسن رواية "زهر

الخريف" (2010)، التي استخدم فيها أجواء حرب أكتوبر للتأكيد على الوحدة الوطنية فالدم سواء في الدفاع عن الوطن.

تأثير الانتصار فى الحياة الأدبية، قائلاً: "انتصار حرب أكتوبر يعد نقطة تحول للكثير من جوانبنا الثقافية عامة، ومن الممكن أن نتأمل نوعا أو نوعين من الأجناس الأدبية تناولت حرب أكتوبر وهما الرواية والشعر، ونجد فى النوعين تغيرا واضحا من نغمة اليأس والحزن إلى نغمة التفاؤل والفرح، فمثلا عند نجيب محفوظ كتب روايته الملحمية (الحرافيش) بعد حرب أكتوبر، ففيها تفاؤل مقارنة بما سبقها من روايات فترة الهزيمة خصوصا رواية (ثرثرة فوق النيل) التى تعكس روحا عدمية واليأس، وهو نفس ما نجده عند الشعراء الذين كتبوا عن حرب أكتوبر، بل إن هذه الروح نجدها قد انتقلت إلى شعراء عرب شاركونا فى فرحة الانتصار".

هنا يجب أن نؤكد أن الحياة الفكرية كلها عاد إليها النبض من جديد، فالمشاريع الفكرية الكبرى عند كبار مفكرينا مثل حسن حنفى وعابد الجابرى بدأت بعد نكسة 1967، والتى تحفر فيما وراء النكسة، لكنها ظهرت فيما بعد حرب أكتوبر، والتى نستطيع أن نقول إنها أطلقت مناخا جديدا فى الحياة الثقافية سواء فلسفة أو أدبا، فنجد روايات جديدة تتحدث عن الحرب كما هو واضح فى رواية (الرصاصة لا تزال فى جيبى) لإحسان عبد القدوس، التى تعد علامة على مواكبة الرواية لتحولات حرب أكتوبر، وكذلك ما كتبه جمال الغيطانى عن الحرب، الذى كتب عنها فى الكثير من الكتب والروايات".

ويشير الناقد الكبير إلى أن الشعر عبر بوضوح عن حالة البهجة بالانتصار وكان أكثر انفعالا وسرعة فى التعبير عن لحظة النصر من الرواية، كما نجد فى قصيدة «البحر والبركان» للشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى، التى نشرها فى ديوانه (مرثية العمر الجميل)، أما الشاعر صلاح عبد الصبور فقد انفعل بالحدث التاريخى وكتب قصيدة غداة يوم العبور بعنوان (إلى أول جندى رفع العلم فى سيناء) ونشرها فى ديوان (الإبحار فى الذاكرة)، كما شارك الشاعر العربى عبدالعزيز المقالح بقصيدة (ما تيسر من سورة النصر)،

وهى إهداء إلى الحبيبة سيناء، كما كتب سليمان العيسى قصيدة يشيد بعبقرية الفريق سعد الدين الشاذلى أحد أبطال حرب أكتوبر، بعنوان (نقطة الضوء)، كما

ألف الشاعر حسن فتح الباب مجموعة من القصائد منها (لحن أكتوبر) عن الانتصار العظيم".

من جانبه، يقول الدكتور نجيب عثمان أيوب، أستاذ الأدب العربى بجامعة حلوان: "خصّص الأدب مساحة كبيرة لتناول الحرب بين مصر وإسرائيل، وكيف أثرت هزيمة يونيو على المجتمع كله، ثم كيف أدى انتصار أكتوبر المجيد إلى إطلاق موجة إبداعية غير مسبوقة، ما تجلى فى عدد ضخم من الروايات بدأت بالحديث عن فترة النكسة مثل رواية (الأسرى يقيمون المتاريس) لفؤاد حجازى، أما رواية (الرفاعي) لجمال الغيطانى ورواية (الحرب فى بر مصر) ليوسف القعيد، وفيهما نجد رصدا لملحمة الأبطال، وتركيز الصورة على الجنود وحالتهم النفسية الذين عانوا لسبع سنوات من الحرب، حتى استطاعوا أن يحققوا النصر".

وتابع أيوب: "الكثير من هذه الأعمال الروائية العميقة فى تناول حرب أكتوبر، لم تأخذ حقها فى التجسيد الدرامى على الشاشة سواء فى السينما أو الدراما التلفزيونية، فعلى الرغم من تقدم الأعمال الروائية وتقديمها بانوراما شاملة متعددة الطبقات لحرب أكتوبر، إلا أن الدراما لم تستفد من هذه الكنوز بالشكل الأمثل، لذا يجب أن تهتم وزارة الثقافة ممثلة عن الحكومة فى تمويل تحويل هذه الأعمال الروائية إلى أعمال سينمائية والاستفادة من نجاح أعمال مثل (الممر) و(الاختيار) لبناء تجربة سينمائية توازى التجربة الروائية الغنية والثرية".

لم يقل دور الأدباء والكتاب، عن دور الجنود في معركة حرب أكتوبر المجيدة 1973، التي حقق فيها الجيش المصري انتصارات كبرى على العدو الصهيوني، وتمكن من تحرير أرض الفيروز، ورصد الكتاب تلك المعارك، وجسدوها في العديد من الكتب.

وبمناسبة الذكرى الـ 47 لانتصارات أكتوبر نستعرض أبرز الكتب التي تناولت الحرب، وجسدت الملحمة الكبرى، كي يحفظ للأجيال التالية قصة ما حدث.

"على خط النار.. يوميات حرب أكتوبر".. جمال الغيطاني:

طوال 5 سنوات، منذ 1969 إلى 1974، عمل الأديب الراحل جمال الغيطاني مراسلًا حربيًا على جبهة القتال لصالح مؤسسة "أخبار اليوم". وسط المقاتلين، كان "الغيطاني" يسجل يوميات الحرب بلغة أدبية تجمع بين الدقة والعذوبة، ويرسلها إلى "الأخبار"، لتحظى باهتمام وإعجاب القراء، لدرجة أن الرئيس الراحل عبد الناصر أشاد بمراسلاته

الحربية قائلا: "هذه هي الكتابة التي نريدها عن الحرب". في هذا الكتاب، الصادر عن "كتاب اليوم"، يضم ثلاثة فصول ليوميات الحرب، الأول بعنوان "ما بعد يونيو 1967"، ثم "مصريون على خط النار"، ويختمها بفصل "ملحمة العبور العظيم". الكتاب شاهد على عظمة المصريين، جيشًا وشعبًا، ويضم بين دفتيه رسائل وتحقيقات وتقارير صحفية عن المعركة، ومعايشات ورصد لحياة أهلنا في القناة وفي سيناء، وصمودهم العظيم تحت القصف الإسرائيلي.

"أكتوبر 1973.. السلاح والسياسة".. محمد حسنين هيكل:

هو الكتاب الذي قدمه الصحفي الراحل محمد حسنين هيكل عن معركة العبور، وصاحبه هو الرجل الذي كتب التوجيه الاستراتيجي للمعركة باسم الرئيس أنور السادات، القائد الأعلى للقوات المسلحة آنذاك، إلى المشير أحمد إسماعيل القائد العام. يكمل الكتاب رباعية "هيكل" عن الحروب مصر، إذ بدأها بكتاب "أزمة السويس" واتبعه بكتاب "سنوات الغليان" ثم "الانفجار". الكتاب يستعرض التحضير للمعركة، سارداً بالوثائق والتحليلات السياسية والعسكرية العميقة، كواليس الحرب وتراوح دفتها بين السلاح في أيدي المقاتلين والسياسية على طاولة المفاوضات.

حرب أكتوبر 1973.. مذكرات الجمسي:

قبل معركة العبور، كان المشير محمد عبد الغني الجمسي هو رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة برتبة "لواء"، وفي أثناء المعارك جرى ترقيته إلى رتبة فريق ليتولى رئاسة الأركان خلفا للفريق سعد الدين الشاذلي.

لذلك فإن هذا الكتاب يأتي من أحد قادة المعركة، الرجل الذي عُرف عنه أنه واضع الخطة التفصيلية لما قبل الحرب والمسماة بـ"كشكول الجمسي"، وفيها درس الظروف العسكرية والبيئية للمعركة، ما مهّد لاختيار التوقيت المناسب لساعة الصفر. في الكتاب يربط "الجمسي" بين حرب 5 يونيو 1967 وبين حرب 6 أكتوبر 1973، إذ يرى أنهما لا ينفصلان، وأن أخطاء الأولى أفادت في وضع الخطة المناسبة لمعركة التحرير.

خلف خطوط العدو.. لواء أسامة المندوه:

بينما كان الجنود المصريون رابضون على الضفة الغربية لقناة السويس، متأهبون للعبور، كان النقيب أسامة مندوه على رأس مجموعة استطلاع على بُعد نحو 100 كيلو

شرق قناة السويس، خلف خطوط العدو. في هذا الكتاب المهم، نقرأ تفاصيل بطولة مصرية على قدر كبير من الأهمية، إذ عملت مجموعة الاستطلاع بقيادة "مندوه" على مراقبة تحركات العدو الإسرائيلي، وإرسالها للقيادة غرب القناة، مستعينين بمساعدات بدو سيناء. الكتاب يستعرض جهود مجموعة "مندوه" وكيف أفلتوا من محاولات القوات الإسرائيلية للإيقاع بهم، ثم عادوا للقاهرة سالمين، ليستقبلهم القائد العام، المشير أحمد إسماعيل، ويقلدهم أوسمة عسكرية رفيعة تقديرا لبطولاتهم.

حرب أكتوبر "دراسة ودروس".. الفريق أول محمد فوزي:

مؤلف الكتاب هو واحد من القادة العسكريين المشهود لهم بالكفاءة، إذ ولاه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قيادة القوات المسلحة عقب نكسة 1967، لتطوير القوات، والخروج بها من كابوس الهزيمة إلى حرب الاستنزاف. ويروي "فوزي" بالدراسة العسكرية المعمقة معارك حرب أكتوبر مع العدو الإسرائيلي من اليوم الأول، 6 أكتوبر، وحتى 10 من الشهر. إنها شهادة عسكرية من خبير متمرس يشرح فيها أسرار التخطيط لمعركة العبور، وكيف أدارت القيادة المعارك، وخريطة مسرح العمليات.

قائمة المراجع حسب تسلسل الكتاب

(1) عـن تطـور البـث الإذاعـي المـصري.. وقصـة نجـاح، رأي اليـوم اللندنيـة، أكتوبـر 2021. https://www.politics-dz.com

(2) رواد الإذاعـة المصريـة رمـوز العطـاء والتميـز.. تسـجيلات نـادرة صنعـت تاريـخ، الموسـوعة الجزائريـة للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، 17 أكتوبـر 2021. https://www.politics-dz.com

(3) دور "الإذاعـات الموجهـة" في أكتوبـر.. "صـوت القاهـرة" باللغـة العبريـة، رأي اليـوم اللندنيـة. 23 أكتوبر 2021. https://www.raialyoum.com

(4) قالـوا عـن الإعـلام المـصري في معركـة الكرامـة، الموسـوعة الجزائريـة للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية. 24 اكتوبـر 2021. https://www.politics-dz.com

(5) كواليـس بيـان حـرب أكتوبـر: "هنـا القاهـرة.. جاءنـا البيـان التـالي"، رأي اليـوم اللندنيـة، أكتوبـر 2021. https://www.raialyoum.com

(6) مراسـلون عسـكريون لعبـوا دورًا بـارزًا خـلال حـرب أكتوبـر، رأي اليـوم اللندنيـة، أكتوبـر 2021.https://www.raialyoum.com

(7) الـدور الوطنـي الإذاعـي في الفيلـم الوثائقـي «صـوت العـرب»، رأي اليـوم اللندنيـة، 12 فبرايـر 2022. https://www.raialyoum.com

(8) كذلـك الموسـوعة الجزائريـة للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، فبرايـر 2022. https://www.politics-dz.com/

(9) كيـف حـضر نـصر أكتوبـر 1973.. في أروقـة الشـعر والشـعراء؟، رأي اليـوم اللندنيـة، فبراير 2022. https://www.raialyoum.com

(10) كذلـك الموسـوعة الجزائريـة للدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، فبرايـر 2022. نـصر أكتوبـر 1973 في أروقـة الكتـب.. والكتـاب، رأي اليـوم اللندنيـة، فبرايـر 2022. https://www.raialyoum.com/